وفضائل صيام ستة الأيام بعده

ويليـــه

وظائف العشر الأواخر من رمضان المبارك

تأليف الفقير إلى رحمة الله

ابراهيم بن محمد بن عبد العزيز الغرير

غفر الله له ولوالديه
وإخوانه المسلمين
آمين

١٣٩٦ هـ

وظائف شهر رمضان المبارك

وفضائل صيام ستة الأيام بعده

ويليه

وظائف العشر الأواخر من رمضان المبارك

تأليف الفقير إلى رحمة الله

ابرهيم بن عبد العزيز الغرير

غفر الله له ولوالديه

ولإخوانه المسلمين

آمين

١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

مطبعة المدني

٦٨ شارع العباسية ــ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، وعليه نتوكل

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فهذه وظائف شهر رمضان المبارك ، فيها الترغيب فى الصلاة والصيام ، وقراءة القران ، وإخراج الزكاة ، والصدقات ، وبر الوالدين ، والإحسان إلى القرابات ، والحث على جميع الطاعات .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. هذه، وظائف شهر رمضان .

فصـــل

فى التهنئة بقدوم شهر رمضان المبارك

روى الإمام أحمد والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان يقول : جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه ، فيه تفتح أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين، وفيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » .

قال بعض العلماء : هذا الحديث أصل فى تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان . وفى الحديث الآخر : « لو يعلم الناس ما فى رمضان لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها » أخرجه ابن أبى الدنيا .

كيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب السماء والجنان ؟

كيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النيران ؟

كيف لا يبشر العاقل فيه بغل الشيطان ؟ من أين يشبه هذا الزمان زمان ؟

وفى حديث آخر : « أتاكم رمضان ، سيد الشهور فرحباً به وأهلا ، جاء رمضان بالبركات ؛ فأكرم به من زائر هو آت » .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان ، فكان إذا دخل رجب يقول : « اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان » .

وكان السلف يدعون الله ستة شهر يبلغهم رمضان ، ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم ، وكان المسلمون يقولون عند حضرة شهر رمضان : اللهم قد أظلنا شهر رمضان وحضر ، فسلمه لنا وسلمنا له ، وارزقنا صيامه وقيامه ، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد ، والقوة والنشاط ، وأعذنا فيه من الفتن .

أنا رمضان مزرعة العباد ... لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولا وفعلا ... وذاك فاتخذه للمعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها ... تأوه نادما يوم الحصاد

من لم يربح فى هذا الشهر ، ففي أى وقت يربح ؟

من لم يقرب فيه من مولاه فهو على بعده لا يبرح .

كم من مؤمل أن يصوم هذا الشهر ففاته أمله . كم من مستقبل يوما لا يستكمله . ومؤمل غداً لا يدركه .

روى مسلم عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة و آل عمران ، كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان ، بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما » .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد ، قيل يارسول الله : ما جلاءها ؟ قال : ذكر الله وتلاوة القرآن » .

فصـــــل

اعلم أن للصيام آدابا يجمعها حفظ الجوارح الظاهرة ، وحراسة الخواطر الباطنة ، فينبغى أن يتلقى شهر رمضان بتوبة صادقة ، وعزيمة موافقة ، واعلم أنه يجب تقديم النية ومحلها القلب فى الصلاة والصيام وغيرهما ، وهى لازمة كل ليلة ، وهى اعتقاد القلب فعل الشىء وعزمه عليه من غير تردد ، ومحلها الليل كله لحديث : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » . ويجب على الصائم اجتناب كذب وغيبة ونميمة وشتم وكف لسانه عن كل ما يذم ويكره .

واعلم أنه لا يتم الصوم إلا باستكمال ستة أمور :

الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر إلى كل ما يذم ويكره .

الثانى : حفظ اللسان عن الهذيان . قال صلى الله عليه وسلم «إنما : الصوم جُنة ، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرء شاتمه أو قاتله فليقل : إنى صائم » .

الثالث : كف السمع عن الإصغاء إلى كل محرم أو مكروه .

الرابع : كف الجوارح عن الآثام من اليد والرجل والبطن عن الشبهات وقت الإفطار ، فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام . فمثال هذا الصائم كمن يبنى قصراً ويهدم مصراً ، فأكل الحرام سبب لرد الدعاء وعدم القبول .

الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلىء . قال صلى الله عليه وسلم : « ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »

السادس : أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء ، إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين ؟ أو يرد عليه فهو من الممقوتين ؟ وليكن ذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها .

فيا عباد الله : اجتنبوا الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة .

ومن سنن الصيام : تعجيل الفطور ، وتأخير السحور ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر ، وفي ذلك مخالفة لليهود » . ولقول زيد بن ثابت رضي الله عنه : « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قام إلى الصلاة ، قلت : كم كان بينهما؟ قال : قدر ما يقرأ القارىء خمسين آية » .

والسنة : الإفطار على رطب ، فإن لم يجد ، فعلى تمر ، فإن لم يجد فعلى ماء ، ويسن أن يدعو عند فطره بما دعا به النبي صلى الله عليه وسلم.

كان صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال : « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، فتقبل مني إنك أنت السميع العليم » .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول عند فطره : « اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي » .

فعليكم عباد الله بفعل المسنونات ، واجتناب المحرمات ، والتورع عن المكروهات ، اسمع يا من طول سنته قد نام ، وانتبه لهذه الأيام ، هذا شهر عمارة المحراب ، هذا زمان حضور الألباب ، هذا وقت تلاوة الكتاب .

فصـــــل

فى فضل الصيام

فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال الله عز وجل : إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى ، للصائم فرحتان : فرحة عندفطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » وفي رواية . « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى » .

وفى رواية للبخارى : « لكل عمل كفارة والصوم لى وأنا أجزى به » .

فعلى الرواية الأولى : يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام ، فإنه لا ينحصر تضعيفه فى هذا العدد ، بل يضاعفه الله أضعافا كثيرة بغير عدد ، فإن الصيام من الصبر . وقد قال تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ .

ولهذا ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سمى شهر رمضان

شهر الصبر وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « الصوم نصف الصبر » والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم، فإن فيه صبراً على طاعة الله، وصبراً عن ما حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن، وهذا الألم الناشيء من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه، كما قال تعالى في المجاهدين: ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصَةٌ في سبيل الله ولا يَطَؤُون مَوْطِئاً يَغيظُ الكُفَّارَ ولا ينالون من عَدُوٍّ نَيْلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ فمن رحم في هذا الشهر فهو المرحوم، ومن حرم خيره فهو المحروم، ومن لم يتزود فيه لمعاده فهو ملوم، فأعدوا لقدومه عُدة واسألوا الله فيه التوفيق إلى أن تكملوا العدة، والحذر الحذر من التفريط للإهمال والتكاسل عن صالح الأعمال، فهمة الصالحين فيه: الصيام والقيام، والاشتغال بذكر الملك العلام

فالسعيد من اغتنم موسم العمر قبل ذهابه، وحاسب نفسه على أعماله قبل قراءة كتابه، وراقب مولاه مراقبة من يعلم أنه يراه وذلك أولى به

فصـــــــل

واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب منها : شرف المكان المعمول به ذلك العمل كالحرمين الشريفين ، ولذلك تضاعف الصلاة فى مسجدى مكة والمدينة ، كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» .

وكذلك روى أن الصيام يضاعف فى الحرم ، كما فى سنن ابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم : «من أدرك رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر ، كتب الله له مائة ألف شهر رمضان فيما سواه» وذكر له ثوابا كثيرا .

ومنها : شرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذى الحجة وفى حديث سلمان رضى الله عنه فى فضل شهر رمضان : «من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير ، كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه» .

وذكر ابن أبى مريم عن أشياخه أنهم كانوا يقولون إذا حضر شهر رمضان : انبسطوا فيه بالنفقة ، فإن النفقة فيه مضاعفة ، كالنفقة

فى سبيل الله ، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة ، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة .

فيا عباد الله . سارعوا فيه إلى الطاعات ، وحافظوا على الجمع والجماعات، وجنبوا صيامكم الأمور المفسدات ، واحذروا على أعمالكم من المحبطات .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن ؟ قلت : أنا يارسول الله، فأخذ بيدى فعد خمسا فقال : اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » رواه أحمد والترمذى وقال هذا حديث غريب . وقال صلى الله عليه وسلم : « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » .

يا ذا الذى ما كفاه الذنب فى رجب حتى عصى ربه فى شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما فلا تصيره أيضاً شهر عصيان
واتل القرآن وسبح فيه مجتهداً فإنه شهر تسبيح وقرآن

فصـــــل

وقد يضاعف الثواب بأسباب أخر . منها : شرف العامل عند الله وقربه منه ، وكثرة تقواه ، كما ضوعف أجر هذه الأمة على أجور من قبلهم من الأمم المتقدمة ، وأعطوا كفلين من الأجر .

وروى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله عز وجل أهلين من الناس ، فقيل : من أهل الله منهم؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » .

فينبغى أن يقرأ مرتلا مترسلا متأنيا كيّاً ، معظماً للكلام والمتكلم به ، محضراً لقلبه متدبراً لما يتلوه . قال ابن مسعود رضى الله عنه : « من ختم القرآن فله دعوة مستجابة » ، وقال عبد الرحمن بن الأسود : « من ختم القرآن نهاراً غفر له ذلك اليوم ، ومن ختمه ليلا غفر له تلك الليلة » . وعن طلحة بن مصرف قال : « من ختم القرآن فى أى ساعة من النهار كانت ، صلت عليه الملائكة حتى يمسى ، أو أى ساعة من الليل كانت ، صلت عليه الملائكة حتى يصبح » .

فأكثروا رحمكم الله من الصلاة والصدقات ودراسة القرآن نهاراً وليلا .

هذا هو الكلام القديم ، هذا كلام السميع العليم ، هذا الذي منه ألم ، هذا كلام الرحمن ، هذا الدليل والبرهان ، هـذا الذى إذا سمعه الشيطان ولّى واعتزل ، وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ، هـذا كلام ذى العزة والعلا ، هذا الذى أعجز جميع الفصحاء ، هذا الذى تكلم به فى الأزل ، من لا يزال ولم يزل ، وبالحق أنزلناه وبالحق نزل .

عن أبى هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى قرأ (طه) و (ياسين) قبل أن يخلق السموات والأرض بألف عام ، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمة ينزل هـذا عليها ، طوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسنة تتكلم بهذا » رواه الدارمى .

فى صحيح البخارى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعار من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولاقوة إلا بالله ، ثم قال: رب اغفر لى ، أو قال : ثم دعى استجيب له ، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته » .

عباد الله ، أين من كان معنا فى رمضان الماضى ؟ أما أتته آفات

المنون القواضى ، فتوبوا من المعاصى ، واستعدوا ليوم يؤخذ بالنواصى .

فصـــل

وأما قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى فى الصيام « فإنه لى » فإن الله تبارك وتعالى خص الصيام بإضافته إلى نفسه دون سائر الأعمال ، وذلك لأن الصيام سر بين العبد وبين ربه ، لا يطلع عليه غيره سبحانه . لأنه مركب من نية باطنة ، لا يطلع عليها إلا الله سبحانه ، وأيضاً فإنه روى أن من خصال الإيمان : الصوم فى الصيف . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم رمضان فى السفر فى شدة الحر دون أصحابه .

قال أبو الدرداء رضى الله عنه : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فى سفر وأحدنا يضع يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة » فإذا اشتد توقان النفس إلى ما تشتهيه مع قدرتها عليه ، ثم تركته لله عز وجل فى موضع لا يطلع عليه إلا الله سبحانه ، كان ذلك دليلا على صحة الإيمان ، فإن الصائم يعلم أن له ربا يطلع عليه فى خلواته فأطاع ربه ، وامتثل أمره ، واجتنب نهيه ، خوفاً من عقابه ، ورغبة

فى ثوابه ، فشكر الله له ذلك ، واختص لنفسه عمله هذا من بين سائر أعماله . ولذلك قال : إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى .

قال بعض السلف : « طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره » .

وفى الصحيحين عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فى الجنة ثمانية أبواب ، منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون » وفى الحديث : « إن الجنة لتزخرف وتجدد من الحول إلى الحول لدخول رمضان فتقول الحور : يارب اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجاً تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا » .

تجمع الخلائق كلهم فى صعيد وينقسمون إلى شقى وسعيد ، فقوم قد حل بهم الوعيد ، وقوم قيامتهم نزهة وعيد ، وكل عامل يغترف من مشربه ، من يعمل سوءاً يجز به ، فيا من فرط فى الأوقات الشريفة وضيعها ، وأودعها الأعمال السيئة وبئس ما استودعها ، مضى شعبان وما أحسنت فيه ، وهذا شهر رمضان المبارك فاجتهد فى أيامه ولياليه

فصـــــل

وأما قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى » فيه إشارة إلى المعنى الذى ذكرناه ، وهو أن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام والشراب والنكاح ، وهذه أعظم شهوات النفس وفى التقرب بترك هذه الشهوات فى الصيام فوائد عديدة .

منها : كسر النفس . فإن الشبع والرى ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة .

ومنها : تخلى القلب للفكر والذكر ، فإن تناول هذه الشهوات قد تقسى القلب وتعميه ، وتحول بين العبد وبين الفكر وتستدعى الغفلة .

ومنها : أن الغنى يعرف قدر نعمة الله عليه ، بإقداره على ما منعه كثيراً من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح ، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى ، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك كما فى الحديث : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

وروى ابن ماجه عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذا الخير خزائن لتلك الخزائن مفاتيح ، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقاً للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير » .

ومنها : أن الصيام يضيق مجارى الدم التى هى مجارى الشيطان لابن آدم ، فإن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فتسكن بالصيام وساوس الشيطان وتسكن ثورة الشهوة والغضب . وفى الصحيح أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : « أوصنى . قال : لا تغضب . فردد ذلك مرارا ، قال : لا تغضب » .

ومن فوائد الصيام : تكثير الثواب . قال أبو أمامة الباهلى للنبى صلى الله عليه وسلم : « دلنى على عمل آخذه عنك ، قال : عليك بالصوم فإنه لا عدل له » .

ومنها : حسن المآب ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى سمى الصائمين السائحين حيث قال : (التائبون العابدون الحامدون السائحون) قيل : هو الصائم ؛ لأنه يسبح فى الجنة حيث شاء .

وروى : « أن الجنة تشتاق لأربعة نفر : صائمى رمضان ، وتالى القرآن ، وحافظى اللسان ، ومطعمى الجيعان » .

ومنها : عفو رب الأرباب لقوله صلى الله عليه وسلم : « أتاكم شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار » .

فصــل

وقوله صلى الله عليه وسلم : « للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » .

أما فرحه عند فطره ، فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح ، فإذا أمنعت ذلك فى وقت من الأوقات ثم أبيح لها فى وقت آخر فرحت بإباحة مامنعت منه . فالصائم ترك شهوته بالنهار تقرباً إلى الله وطاعة له ، وبادر إليها بالليل تقرباً إلى الله وطاعة له ، فإذا بادر الصائم بالفطر تقرباً إلى مولاه وأكل وشرب وحمد الله ، فإنه ترجى له المغفرة وبلوغ الرضوان بذلك .

وفى الحديث : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها » وربما استجيب دعاؤه بذلك كما فى الحديث : « إن للصائم عند فطره دعوة ماترد » رواه ابن ماجه . وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على الصيام والقيام ،

كان مثابا على ذلك ، كما أنه إذا نوى بنومه التقوى على العمل ، كان نومه عبادة .

وفى حديث مرفوع : « نوم الصائم عبادة » .

قالت حفصة بنت سيرين : قال أبو العالية : « الصائم فى عبادة مالم يغتب أحداً وإن كان نائماً على فراشه » فكانت حفصة تقول : ياحبذه عبادة وأنا نائمة على فراشى .

وفى الحديث : « ثلاثة لاترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم » .

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض ، فإذا سألتم الله أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة ، فإنه لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل » ولكن شرط ذلك أن يكون فطره على حلال ، فإن كان على حرام كان ممن صام مما أحل الله له وأفطر على ما حرم الله عليه ولم يستجب له دعاء ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الذى يطيل السفر : « أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك » .

فصـل

وأما فرحه عند لقاء ربه ، فبما يجده من ثواب الصيام مدخراً عند الله ، فيجده أحوج ما كان إليه . كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ﴾

وقال تعالى : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴾
وقال تعالى : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾ .

وفى المسند عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم «ليس من عمل يوم إلا يختم عليه » وعن عيسى عليه السلام قال : « إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما » .

فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر ، ويوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها ، فالمتقون يجدون فى هذه الخزائن العز والكرامة ، والمذنبون يجدون فى خزائنهم الحسرة والندامة ، كم بين الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة ، هذا يومكم الذى كنتم توعدون ، وبين الذين يدعُّون إلى نار جهنم دعًّا ، هذه النار التى كنتم بها تكذبون .

روى الترمذى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « إن فى الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق لمثلها يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له » .

وروى ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم ياأهل الجنة ، قال : وذلك قوله تعالى ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾ قال : فنظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شىء من النعيم . ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره » .

قد أزلفت جنة النعيم فيا طوبى لقوم بربها نزلوا

أكوابهم عسجد يطاف بها والخمر والسلسبيل والعسل

والحور تلقاهم وقد كُشِفت عن الوجوه الأسفار والكلل

واعلموا رحمكم الله أن الشأن فى صدق التوبة وليست التوبة نطق اللسان ، إنما هى ندم القلب وعزمه أن لا يعود .

فصـــل

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

وذلك أن الصيام لما كان سراً بين العبد وبين ربه فى الدنيا أظهره الله علانيـة للخلق ليشتهر بذلك أهل الصيام ويعرفون بصيامهم بين الناس جزاء لإخفائهم صيامهم بالدنيا ، كما فى الحديث عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً : « يخرج الصائمون من قبورهم يعرفون بريح أفواههم ، ريح أفواههم أطيب من ريح المسك ، وقد تفوح رائحة الصيام بالدنيا . كان عبد الله بن غالب من المجتهدين فى الصلاة والصيام ، فلما دفن كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك فرؤى فى المنام ، فسئل عن تلك الرائحة فقال : تلك رائحة التلاوة والظمأ . وفى الحديث : « ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله رداءها علانية » .

يامقصراً فى أعماله ، بخيلا بماله ، لاتسألون عن حالة يوم ترحاله ، ياداثم الخسران فما يبرح ، يامقيما على المعاصى فما يبرح ، من رأيته فعل فعلك أفلح ، صاحب أهل الخير تسكن منهم ، واستفد خصالهم وخذ عنهم .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « لما نزل قوله تعالى : ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾ قال أبو الدحداح - يعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال : نعم . قال : أرنى يدك يارسول الله . قال : فناوله يده فقال : إنى قد أقرضت ربى حائطى قال : وحائطه فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها ، فنادى : ياأم الدحداح : قالت : لبيك . قال : اخرجى من الحائط فقد أقرضته ربى عز وجل » سبحان من خلق تلك النفوس واختارها ، وصفاها بالتقى ورفع أكدارها .

قوم تيقظوا فى أمورهم وعقلوا
وحاسبوا أنفسهم فما أضاعوا ولا غفلوا
وتدبروا منازل المتقين فنزلوا فالأيك لهم جزاء الضعف بما عملوا
هم الرجال وغبن أن يقال لمن لم يتصف بمعالى وصفهم رجل

سبحان من قضى لقوم سرورا ، وعلى آخرين ثبورا ، وكان أمر الله قدراً مقدورا ، ومن لم يجعل الله له نوراً ، فما له من نور .

أيها العاقل : اغتنم أيام حياتك ، قبل انقراض مدتك وتكامل أيامك ، فإن العمر ساعات تذهب ، وأوقات تنهب ، وكلها معدودة عليك ، والموت يدنو كل لحظة إليك .

فصـــل

فى العشر الأواسط من شهر رمضان

فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فى العشر الأواسط من رمضان، فاعتـكف عاما حتى كان ليلة أحد وعشرين ، وهى الليلة التى يخرج فى صبيحتها من اعتـكافه فقال : من كان اعتـكف معى فليعتـكف العشر الأواخر ، فإنى قد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطين فى صبيحتها فالتمسوها فى العشر الأواخر ، والتمسوها فى كل وتره فمطرت السماء تلك الليلة ، وكان المسجد على عريش فوكف المسجد ، فبصرت عيناى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته أثر الماء والطين من صبح إحدى وعشرين .

وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم يعتـكف العشر الأواسط ابتغاء ليلة القدر قبل أن يتبين له أنها فى العشر الأواخر ، ثم لما تبين له اعتـكف العشر الأواخر حتى قبضه الله عز وجل .

عباد الله ، هذه أوقات زواهر ما أشرفها ، وساعات كالجواهر ما أظرفها ، أشرقت لياليها بصلاة التراويح ، وأنارت أيامها بالصلاة

وتلاوة القرآن والتسبيح ، فاجتهدوا فيها على الإخلاص والصدق لعلكم أن تدركوا الخلاص والعتق .

فطوبى لمن غنمها بصحوه ، وغسل فيها درن التقصير بمحوه ، وصرف نفسه عن شهواتها وأغراضه ، ورجع إلى طاعة ربه خوفا من إعراضه ، والويل لمن عدم بجهله فوائدها ، وحرم بتقصيره زوائدها ، وأفات نفسه لغفلته خيرها ، أملا منه أن يرى غيرها ، إذا خسرت فى هذا الشهر فمتى تربح ؟ وإذا لم تسافر فيه نحو الفوائد فمن أين لك أن تفرح ؟

عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة يضحك الله إليهم : رجل يقوم من الليل ، والقوم قد صفوا فى الصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال » أين أهل الأذكار ، أين قوّام الأسحار ، أين صوّام النهار ، خلت والله منهم الديار ، وامتلأت بهم القفار .

فصــــل

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله عز وجل بترك الشهوات المباحة فى غير حالة الصيام ، إلا بترك التقرب إليه بترك ما حرم الله فى كل

حال من الكذب ، والظلم ، والعدوان على الناس فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخارى .

وقال بعض السلف : أهون الصيام ترك الطعام والشراب .

وقال جابر رضى الله عنه : إذا صمت فليصم سمعك ، وبصرك ، ولسانك من الكذب ، والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك سكينة ووقار يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء ، إذا لم يكن فى السمع منى تصاون ، وفى بصرى غض وفى منطقي صمت ، فحظى إذاً من صومى الجوع والظمأ ، فإن قلت : إنى صمت يومى فما صمت .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رب صائم حظه من صومه الجوع والظمأ ، ، ورب قائم حظه من قيامه السهر » .

وقد ورد فى القرآن بعد ذكر تحريم الطعام والشراب بالنهار ، تحريم أكل أموال الناس بالباطل ، فإن أكل أموال الناس بالباطل محرم فى كل زمان ومكان .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى حجة الوداع : «ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا . ثم يرفع يديه إلى السماء ويقول: اللهم هل بلغت » .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه» .

وعن أسماء بنت عميس رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بئس العبد عبد تخيل واختال ، ونسى الكبير المتعال ، بئس العبد عبد تجبر واعتدى ، ونسى الجبار الأعلى ، بئس العبد عبد سهى ولهى ونسى المقابر والبلى ، بئس العبد عبد عتى وطغى ونسى المبتدا والمنتهى ، بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين ، بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات ، بئس العبد عبد طمع يقوده ، بئس العبد عبد هوى يضله . بئس العبد عبد رغب يذله » رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب .

فصـــل

فى فضل الجود فى رمضان وتلاوة القرآن

فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » ، وخرجه الإمام أحمد بزيادة فى آخره وهى : « لا يسأل عن شىء إلا أعطاه الجود هو سمة العطاء وكثرته والله سبحانه وتعالى يوصف بالجود » .

وفى الترمذى من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى قال : « ياعبادى لو أن أولكم وآخركم ، وحيكم وميتكم . ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فى صعيد واحد ، فسأل كل كل إنسان ما بلغت أمنيته ، فأعطيت كل سائل منكم ما نقص ذلك من ملكى ، إلا كما لو أن أحدكم مَرَّ بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه ، ذلك بأنى جواد ، واجد ، ماجد ، أفعل ما أريد ، عطائى كلام وعذابى كلام إنما أمرى لشىء إذا أردته أن أقول له : كن فيكون » .

وجوده تعالى يتضاعف فى أوقات مخصوصة ، كشهر رمضان ، وفيه أنزل قوله : ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعانى ﴾ .

وفى الحديث الذى خرجه الترمذى وغيره فى فضل شهر رمضان وفيه : « أنه ينادى مناد : ياباغى الخير هلمّ ، وياباغي الشر أقصر ؛ ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة » .

ولما كان الله قد جبل نبيه صلى الله عليه وسلم ، على أكمل الأخلاق وأشرفها ، كان صلى الله عليه وسلم أجود بنى آدم على الإطلاق ، كما أنه أفضلهم ، وأعلمهم ، وأشجعهم ، وأكملهم فى جميع الأوصاف الحميدة ، وكان جوده صلى الله عليه وسلم يجمع أنواع الجود من بذل العلم والمال ، وبذل نفسه لله فى إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ، ووعظ جاهلهم ، وقضاء حوائجهم ، وتحمل أثقالهم ، ولم يزل صلى الله عليه وسلم على هذه الخصال منذ نشأ .

ولهذا قالت له خديجة فى أول مبعثه : « والله لايخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف ، وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق » .

وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم : أحسن الناس ، وأشجع الناس ، وأجود الناس ».

يامن يحدث نفسه بدخول جنات النعيم
فاسلك طريق المتقين وظن خيراً بالكريم
واذكر وقوفك خائفاً والناس فى أمر عظيم
إما إلى دار الشقاوة أو إلى العز المقيم
فاغنم حياتك واجتهد وأنب إلى الرب الرحيم

فصل

وكان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله وابتغاء مرضاته ، فإنه يبذل المال إما لفقير محتاج ، أو ينفقه فى سبيل الله أو يتألف به على الإسلام ، وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده ، فيعطى عطاء تعجز عنه الملوك مثل : كسرى ، وقيصر ، ويعيش فى نفسه عيش الفقراء ، فيأتى عليه الشهر والشهران لايوقد فى بيته نار ، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع .

وكان صلى الله عليه وسلم قد أتاه سبي مرة ، فشكت إليه فاطمة ماتلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤونة بيتها . فأمرها أن تستعين بالتسبيح ، والتكبير ، والتحميد عند نومها وقال :

« لا أعطيك وادع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع » .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم أحيني مسكينا ، وأمتني مسكينا ، واحشرني في زمرة المساكين . فقالت عائشة : لم يا رسول الله ؟ قال : إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ، ياعائشة لاتردي المسكين ولو بشق تمرة ، ياعائشة أحبي المساكين وقربيهم ، فإن الله يقربك يوم القيامة » رواه الترمذي والبيهقى فى شعب الإيمان .

وكان جوده صلى الله عليه وسلم يتضاعف فى شهر رمضان على غيره من الشهور ، كما أن جود ربه يتضاعف فيه ، فإن الله قد جبله على ما يحب من الأخلاق الكريمة ، وكان على ذلك من قبل البعثة ، فإنه صلى الله عليه وسلم يجاور بحراء من كل سنة شهر ، يطعم من جاءه من المساكين ، حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به من الكرامة ، كان ذلك الشهر شهر رمضان ، وكان يلتقى هو وجبريل عليهما السلام فيدارسه الكتاب الذى جاء به إليه وهو يحث على مكارم الأخلاق ، وكان صلى الله عليه وسلم : القرآن له خلقا حيث يرضى لرضاه ، ويسخط لسخطه ، ويسارع إلى ما يحث إليه .

فلهذا ، كان جوده فى هذا الشهر لقرب عهده بمخالطة جبريل ه

وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم لاشك أن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقا من المخالط . وقال بعض الشعراء : يمدح بعض الأجواد ولا يصلح ذلك إلا للنبي صلى الله عليه وسلم :

تود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تجبه أنامله
تراه إذا ماجئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله
ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها وليتق الله سائله
هو البحر من أى النواحى أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

عباد الله ، هذا شهر رمضان قد انتصف ، فمن منكم حاسب فيه نفسه وانتصف ؟ من منكم صام فى هذا الشهر بحقه الذى عرف ؟ من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبنى له غرف من فوقها غرف ؟ ألا إن شهركم قد أخذ بالنقص فزيدوا أنتم بالعمل فكأنكم به وقد انصرف ، فكل شهر فعسى أن يكون منه خلف ، وأما شهر رمضان فمن أين لكم منه الخلف ؟

فصـــل

وقد دل الحديث أيضاً على استحباب دراسة القرآن في شهر رمضان والاجتماع على ذلك ، وعرض القرآن على من هو أحفظ له .

وفي حديث ابن عباس : « أن المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلا » ، ودل على استحباب الإكثار من المدارسة بالليل ، لأن الليل تنقطع فيه الشواغل ، وتجتمع فيه الهمم ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر ، فينبغي للانسان أن يتدبر القرآن ، وما فيه من الأحكام ، والوعد والوعيد ، وذكر الجنة والنار ، فيسأل الله الجنة ، ويستعيذ به من النار ، وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن ، كما قال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ .

قال ابن عباس : « أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في الليل في رمضان أكثر من غيره ، لا يمر في آية فيها ذكر رحمة ، إلا سأل ، أو فيها عذاب إلا تعوذ » .

وقد كان السلف يتلون القرآن في رمضان في الصلاة وغيرها ، كان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين من رمضان ، وكان النخعي يختم

فى العشر الأواخر كل ليلتين ، وفى بقية الشهر فى كل ثلاث ليال .

وكان قتادة يختم القرآن فى رمضان فى كل ثلاث ليال ، وفى العشر الأواخر كل ليلة ، وكان للشافعى رحمه الله ستون ختمة يقرؤها فى غير الصلاة .

وكان الزهرى يقول : « إذا دخل شهر رمضان ، فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام » .

وقد ورد فى الأثر : «أن القرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار ، ويقول القرآن أى رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، فهذا لمن حفظ صيامه ، ومنعه من شهواته ، ومن المحرمات جميعها ، فأما من لم يحفظ صيامه من المحرمات ؛ فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ، ويقول ضيعك الله كما ضيعتنى ، كما ورد مثل ذلك فى الصلاة » .

عباد الله ، هذا شهر رمضان ، الذى أنزل فيه القرآن ، وفى بقيته للعابدين مستمتع ، وهذا كتاب الله يتلى بين أظهركم ويسمع ، وهو لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً يتصدع ، ومع هذا ، فلا قلب يخشع ، ولا عين تدمع ، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع ، ولاقيام استقام

فيرجى لصاحبه أن يشفع ، قلوب خلت من التقوى فهى خراب بلقع ، وتراكمت عليها الذنوب فهى لا تبصر ولا تسمع .

واعلموا رحمكم الله ، أن المقصود من الصلاة إعظام وتعظيم المعبود، وتعظيمه لا يكون إلا بحضور قلب .

قال الحسن رحمه الله : « ابن آدم إذا هانت عليك صلاتك ، فما الذى يعز عليك ؟ فحافظ على صلاتك واحضر قلبك عند مناجاة ربك » .

فصـــــل

واعلم أن القرآن يشفع لمن حفظه ، وقام بحقه ، ولم يتعد حدوده ؛ كما روى الإمام أحمد عن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه القبر ، كالرجل الشاحب فيقول : هل تعرفنى ؟ أنا صاحبك الذى أظمأتك فى الهواجر ، وأسهرت ليلك ، وكل تاجر من وراء تجارته ، فيعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار . ثم يقال له : اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها ، فهو فى صعود مادام يقرأ هذا كان أو ترتيلا » .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : « ينبغى لقارىء القرآن أن يكون باكيا ، حزينا ، حليما ، سكينا ، لينا ، ولا يكون جافيا ، ولا غافلا ، ولا صياحا ، ولا يجهل فيمن يجهل ، ولا يجد فيمن يجد ، ولكن يعفو ، ويصفح . وقال : إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبة الله ما استطعتم . إن هذا القرآن حبل الله المتين ، ونور مبين ، وشفاء نافع ، وعصمة لمن تمسك به ، ومنجاة لمن اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الترداد. اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات . أما أنى لا أقول لكم (ألم) حرف ولكن الألف حرف ، واللام حرف ، والميم حرف ، وبكل حرف عشر حسنات » .

وعن سعيد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : « من ختم القرآن نهاراً ، صلت عليه الملائكة حتى يمسى ، ومن ختمه ليلا ، صلت عليه الملائكة حتى يصبح » .

قال عبدالله بن المبارك : « كانوا يستحبون أن يختم فى أيام الصيف فى أول النهار ، وفى أيام الشتاء فى أول الليل حتى تكون الصلاة عليهم أكثر » .

عباد الله ، هذا موسم المجتهدين أهل العزم والحزم رأيا وعقلا ،

وفى كل عام ترذلون وقد أسرع الموت بخياركم انتقالا ورحلا ، ولم يبق إلا أهل التفريط عجزاً وكسلا ، ولم يبق إلا أن تمدوا إلى ربكم أكف الفقر فى الخلوات أوقات الإجابات نهاراً وليلا ، وصلى الله وسلم على محمد .

فصـــل

واعلم أن من أعطاه الله القرآن ، فنام عنه بالليل ، ولم يعمل به فى النهار ، فإن القرآن ينتصب له خصما يوم القيامة يطالبه بحقوقه التى ضيعها . كما فى مسند الإمام أحمد رحمه الله من حديث سمرة رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه رجلا مستلق على قفاه ، ورجل قائم على رأسه ، بيده فهر أو صخرة فيشدخ به رأسه فيتدهده الحجر ، فإذا ذهب ليأخذه عاد رأسه كما كان ، فيصنع به مثل ذلك . فسئل عنه فقيل : هذا رجل أتاه الله القرآن فنام عنه بالليل ، ولم يعمل به فى النهار ، فهو يعمل به ذلك إلى يوم القيامة » .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : « القرآن شافع مشفع ، ومما حل مصدق ، فمن جعله إمامه قاده إلى الجنـــة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار » .

فيا من صيع عمره فى غير الطاعة ، يامن فرط فى شهره بل فى دهره وأضاعه ، يامن بضاعته التسويف والتفريط وبئست البضاعة ، يامن جعل خصمه القرآن وشهر رمضان ، كيف ترجو ممن جملته خصمك الشفاعة ؟ رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه التعب والسهر .

فى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أربع من الشقاء : جمود العين ، وقساوة القلب ، والحرص على الدنيا ، وطول الأمل » .

وروى الشافعى عن عمر رضى الله عنه . « أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوماً فقال فى خطبته : ألا إن الدنيا عرض حاضر ، يأكل منه البر والفاجر ، ألا وإن الآخرة أجل صادق ويقضى فيها ملك قادر ، ألا وإن الخير كله بحذافيره فى الجنة ، ألا وإن الشر كله بحذافيره فى النار ، ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر ، واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

واجتهدوا رحمكم الله بالصلاة ، وصلة الأرحام ، وإخراج الزكاة إلى مستحقيها ، فإنها أحد أركان الإسلام ، ولا تؤثروا عند إخراجها شحا ولا بخلا ، فهى طهرة للأموال ، فمن لم يؤدها فعليه الغضب هوانا من ال وذلا .

فصــــــل

وفى تضاعف جوده صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة :

منها : شرف الزمان ومضاعفة أجر العامل فيه .

وفى الترمذى عن أنس مرفوعاً : « أفضل الصدقة صدقة فى رمضان » .

ومنها : إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعاتهم فيستوجب المعين مثل أجورهم ، كما أن من جهز غازياً فقد غزا .

وفى حديث زيد بن خالد الجهنى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «من فطر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شىء » .

وفى حديث سلمان : « وهو شهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيئاً . قالوا : يارسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم . قال : يعطى الله هذا

الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء، ومن سقا فيه صائما سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة ».

وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال: « حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منه لا يظمأ أبدا ».

ومنها: أن شهر رمضان يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، لاسيما فى ليلة القدر، والله يرحم من عباده الرحماء، كما فى الحديث: « الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالفضل والعطاء، والجزاء من جنس العمل.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة: « عليك بالرفق، فإن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه ».

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ: « أحسن خلقك للناس، وأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً ».

وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم

جنازة؟ قال أبو بكر : أنا . قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ قال أبو بكر : أنا . قال : فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟ قال أبو بكر : أنا . قال : ما اجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة » .

فكان أبو بكر رأس المنفقين أموالهم فى سبيل الله . قال صلى الله عليه وسلم : « ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر ، فبكى أبو بكر وقال : وهل أنا ومالى إلا لك يارسول الله ؟ » كانوا إلى ما يرضى مولاهم يبادرون ، فقد أمنوا مما يخافون ، فياحسنهم والولدان بهم يحفون وبالحور الحسان فى خيام اللؤلؤ يتنعمون ، وعلى أسرة الذهب والفضة يتزاورون ، وبالوجوه الناضرة يتقابلون على الأرائك ينظرون .

فصل

وفى تضاعف جوده صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان على غيره من الشهور سر بديع ، وهو أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ فى تكفير الخطايا ، واتقاء جهنم ، والمباعدة عنها ، خصوصا إن ضم إلى ذلك قيام الليل .

وفى حديث معاذ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصدقة تطفىء

الخطيئة ؟ كما يطفىء الماء النار » ، وقيام الرجل من قيام الليل يعنى أنه يطفىء الخطيئة .

وفى الصحيح : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » .

كان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : « صلوا فى ظلمة الليل لظلمة القبور ، وصوموا يوما شديداً حره لحر يوم النشور ، وتصدقوا بصدقة لشر يوم عسير » .

ومنها : أن الصيام لا بد أن يقع فيه خلل ونقص ، والصدقة تجبر ما فيه من الخلل والنقص . ولهذا وجب فى آخر رمضان صدقة الفطر طهرة للصائم ، من اللغو والرفث .

وفى حديث سلمان : « وهو شهر المواساة فمن لم يقدر فيه على درجة الإيثار على نفسه ، فلا يعجز عن درجة أهل المواساة » .

كان ابن عمر رضى الله عنه يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين ، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام فأعطاه السائل ، وجاء سائل إلى الإمام أحمد رحمه الله ، فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ثم طوى وأصبح صائما .

وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم تطوعا ، ويجلس يروحهم وهم يأكلون .

وكان ابن المبارك يطعم إخوانه فى السفر الألوان من الحلوى وغيرها وهو صائم.

قال الشافعى : « أحب للرجل الزيادة بالجود فى رمضان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم » .

كان السلف يتعاشرون بنزع الغل على مناصحة النفوس ، فصارت الآن عشرة العشيرة على موافقة الهوي ، تمالوا على حب الدنيا ومالوا ، فإذا فرت عن صديقهم أعرضوا عنه ومالوا ، فافتح بصر البصيرة فعلى هذا تراهم ، ثم التفت عنهم وإياك وإياهم .

عباد الله : ما أشرف من أكرمه المولى الكريم ، وما أسعد من خصه بالتشريف والتعظيم ، وما أقرب من أهله للفوز والتقديم ، وما أجل من أثنى عليه العزيز الرحيم ، إن الأبرار لفي نعيم. وفقنا الله لطريق أهل السعادة ، وجعلنا من الذين لهم الحسنى والزيادة . إنه جواد كريم

فصـــل

فى فضل العشر الأواخر من رمضان المبارك

فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله » .

وفى رواية لمسلم عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الأواخر مالا يجتهد فى غيره » .

وروى عن أنس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل شهر رمضان قام ونام ، فإذا كان أربع وعشرين لم يذق غمضاً » .

وخرج الطبرانى من حديث على : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوقظ أهله فى العشر الأواخر من رمضان وكل صغير وكبير يطيق الصلاة » .

وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه كان يطرق فاطمة وعلياً ليلا فيقول لهما : ألا تقومان فتصليان ، وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده وأراد أن يوتر » .

وفى الموطأ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « كان يصلى ماشاء الله أن يصلى حتى إذا كان نصف الليل أيقظا أهله للصلاة ويقول : الصلاة الصلاة ، ويتلو هذه الآية ﴿ وأْمُرْ أهلك بالصلاة واصْطَبِرْ عليها ﴾ الآية .

وكانت امرأة حبيب أبو محمد تقول له بالليل : قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق ، وزادنا قليل ، وقوافل الصالحين قد صارت قدامنا ونحن بقينا » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل ويتطيب كل ليلة من ليالى العشر الأواخر .

وفى حديث عائشة : « كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل رمضان قام ونام ، وإذا دخل العشر الأواخر شد الميزر واعتزل النساء ، واغتسل بين الأذانين » والمراد أذان المغرب والعشاء

عباد الله . إنما يتبين ربح العاملين يوم المعاد ، وفيه تظهر آثار القرب والبعاد ، فمن عمل خيراً وجد جزاءه محضرا ، ومن عمل سوءا لقيه فى كتابه مسطراً كان صلى الله عليه وسلم يصلى بالليل حتى تورمت قدماه ، وكان يقرأ فى ورده ودموعه تقع على الأرض كوكف المطر هذا خوف الحبيب مع ما أعطى من شرف المقام .

فالعجب !! كيف يطمئن قلب من أثقلت ظهره الآثام .

عباد الله ، اغتنموا الأيام والليالى الفاضلة ، وجدوا فى الأعمال الصالحة .

فصـــل

ومما كان يخص به صلى الله عليه وسلم العشر الأواخر : شد المئزر ، واختلفوا فى تفسيره ، فمنهم من قال : هو كناية عن جده واجتهاده فى العبادة ، كما يقال : فلان شد وسطه ، وسعى فى كذا . ومنهم من قال : المراد اعتزاله النساء ، وبذلك فسره السلف والأئمة منهم الثورى . وورد تفسيره بأنه لم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان وفى حديث أنس : « وطوى فراشه واعتزل النساء » .

وكان صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر ، والمعتكف ممنوع من قربان النساء بالنص والإجماع .

وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم يغتسل ويتطيب كل ليلة من ليالى العشر الأواخر . وكذلك السلف كانوا يغتسلون ويتطيبون اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم .

ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر .

وقال حماد بن سلمة : كان ثابت البناني ، وحميد الطويل ، يلبسان أحسن ثيابهما ، ويتطيبان ويطيبان المسجد بالنضوخ والدخنة .

فتبين بهذا : أنه يستحب التنظف ، والتزين ، والتطيب بالغسل ، والطيب ، واللباس الحسن ، كما يشرع ذلك بالجمع والأعياد ، وكذلك يشرع أخذ الزينة بالثياب في كل الصلوات . كما قال تعالى : ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : «الله أحق أن يتزين له» . وروى ذلك مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ولكن ليعلم العاقل ، أن ذلك التنظف لا يغني مع خراب الباطن ، فإن تزيين الظاهر لا يكمل ولا يتم إلا بتزيين الباطن بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى ، وتطهيره من أدناس الذنوب وأوضارها ، فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن لا يجدي شيئا ، بل ما يزيد من الله إلا بعداً . قال تعالى : ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يُواري سَوْآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ﴾

إذا المرء لم يلبس لباسا من التقى　　تقلّب عريانا وإن كان كاسيا

واعلم أنه لا يصلح لمناجاة الملوك فى الخلوة، إلا من زين ظاهره وباطنه وطهرهما، خصوصاً لملك الملوك الذى يعلم السر وأخفى، وهو لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فمن وقف بين يديه فليزن ظاهره باللباس الظاهر، ويزين باطنه بلباس التقوى .

فصل

واعلموا رحمكم الله أن شهر رمضان مضمار السابقين، وغنيمة الصادقين فيه تضاعف الأعمال ، وتحط الأوزار الثقال، وفيه يجاب السؤال ويغفر للمستغفر ويقال، وفضائله فوق ما يقال، ثم فيه ليلة القدر التى جعل الله عبادتها خيرا من عبادة ألف شهر ، أخفاها الله ليجتهد المؤمنون فى سائر الشهر .

فسبحان من قرب أحبابه فوجدوا لذة المعاملة، فقلوبهم بذكره حاضرة، وعيونهم بخدمته ساهرة، وأبدانهم من مخافته ناحلة، وقطع المبعدين عن بابه، وأذلهم بأليم حجابه، فهممهم عن النهوض بالخيرات متثاقلة .

عجبا لنفس تنكر الجزاء ما أعماها، أما أظهر الأدلة لها وجلاها،

من الذي مد الأرض ودحاها ، وابتعث الغمام فسقاها ، وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ، إلاه عظيم لم يزل إلاها ، وملك كبير ملكه لا يتناها ، يسمع صريف الأقلام ومجراها ، ولا يخفى عليه خافية ممن أخفاها ، يقسم الأرزاق فما يترك ذرة ولا ينساها ، أحكم الأمور كلها وأمضاها ، وعلى ماسبق علمه أمضاها ، سواء أسخط النفوس أو أرضاها :

يامن يرى ما فى الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والفزع
يامن خزائن رزقه فى قول كن ... أمنن فإن الخير عندك أجمع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة ... فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا ... فالفضل أجزل والمواهب أوسع

بكى يزيد الرقاشى عند موته ، فسئل عن بكائه قال : أبكى على مايفوتنى من قيام الليل وصيام النهار .

فسبحان من وفق العاملين لخدمته، ووعدهم جزيل الجزاء فتلذذوا بمناجاته لما علموا أنه قريب سميع الدعاء .

واعلموا رحمكم الله . أن الله أمر ببر الوالدين ، وصلة الأرحام. قال

تعالى: ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾.

وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: « من أصبح مطيعا لله فى والديه أَصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، وإن كان واحدا فواحداً، ومن أصبح عاصيا لله فى والديه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار، وإن كان واحداً فواحداً ».

وروى أن موسى عليه السلام . « رأى رجلا عند العرش فغطبه بمكانه فسأل عنه فقيل له: نخبرك بعمله. لا يحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله، ولا يمشى بالنميمة، ولا يعق والديه ».

فصل

فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » وفيهما. « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ».

وتكفير الذنوب بصيام رمضان قد ورد شروطا بالتحفظ مما ينبغى

التحفظ منه ، كما فى مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان فعرف حدوده ، وتحفظ مما ينبغى التحفظ منه ، كفر ذلك ما قبله » .

والجمهور ، على أن تكفير الذنوب إنما هو تكفير الصغائر دون الكبائر ، لأن الكبائر لا تكفر إلا بالتوبة النصوح .

ويدل على ذلك ما خرجه مسلم عن أبى هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » .

فتبين بهذا ، أن تكفير هذه الأعمال مشروط باجتناب الكبائر ، فمن لم يجتنب الكبائر لم تكفر له هذه الأعمال ، كبيرة ولا صغيرة . وأما الكبائر ، فلا تكفر إلا بالتوبة النصوح ، لأن التوبة شرط لتكفير الكبائر .

قال سليمان بن عبدالله لأبى حازم : « أى الأعمال أفضل ؟ قال : أداء الفرائض ، واجتناب المحارم . قال : فأى الصدقات أزكى ؟ قال جهد المقل بلا مَنٍّ ولا أذى . قال : فأى الناس أعدل ؟ قال : من يقول كلمة حق عند من يخافه . قال : فأى الناس أعقل ؟ قال : من عمل بطاعة الله تعالى ودل الناس عليها . قال : فأى الناس أجهل ؟ قال : من باع

آخرته بدنيا غيره . قال : عظنى وأوجز . قال : نزه ربك وعظمه ، إن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك » .

فبكى أمير المؤمنين سليمان فقال رجل من جلسائه : لقد أسأت إلى أمير المؤمنين . فقال له أبو حازم : اسكت ، فإن الله أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه .

خطب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه آخر خطبة خطبها فقال فيها : « أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثا . ولن تتركوا سدى ، وإن لكم معاذا ينزل الله للفصل بين عباده ، فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شىء ، وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيرثها بعدكم الباقون ، كما تركها الماضون ، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، وفى كل يوم تشيعون غاديا إلى الله ورائحا قد قضى نحبه ، وانقضى أجله ، فتودعونه وتدعونه فى صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب وسكن التراب ، وواجه الحساب غنيا عما خلف فقيراً إلى ما أسلف .

فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقيته ، وإنى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندى ،

ولكنى أستغفر الله وأتوب إليه » . ثم رفع طرف ردائه وبكى حتى شهق ، ثم نزل عن المنبر فما عاد بعدها حتى مات رحمة الله عليه .

فصل

وأما صيام رمضان وقيامه ، فيتوقف التكفير بهما على تمام الشهر ، فإذا تم الشهر فقد كمل للمؤمن صيام رمضان وقيامه ، كما فى حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « يغفر لهم فى آخر ليلة . قيل يارسول الله : أهى ليلة القدر ؟ قال : لا ، ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله » .

عباد الله ، إن الفرح بفضل الله ورحمته هو السرور ، وإن الفرح بالحظوظ العاجلة هو الغرور ، فاشكروا نعمة الله تعالى على مايسر لكم من صيام رمضان ، وأعطاكم من نعمة الإيمان ، وودعوا شهر رمضان بكثرة الاستغفار من التقصير ، والعزم على دوام الجد والتشمير ، فإن رمضان قد تهيأ للرحيل ، ولم يبق منه إلا القليل ، فلقد كان للمتقين روضة وأنسا ، وللغافلين قيدا وحبسا ، كان نزهة للأبرار ، وقيداً للأشرار .

أى شهر قد تولى ، ياعباد الله هنا حق أن نبكى عليه بدماء لو عقلنا

كيف لا نبكى لشهر مَرَّ بالغفلة عنا كان هذا الشهر نوراً بيننا يزهو حسنا ، فاجعل اللهم عقباه لنا نوراً وحسنا ، فكم متأهب ليوم فطره فيصبح يوم العيد فى قبره قد فارق الإخوان ، وعدم الخلان ، أين الذين كانوا معكم فى عيدكم الماضى ذهبوا ؟ وأين الذين فى مثل هذا العيد فرحوا ؟ أملوا أملا شديدا ، وتوهموا البقاء فبنوا مشيدا ، اختطفهم ريب المنون فأبلى منهم ما كان جديداً ، لله دراً قوم أنسوا برمضان والصيام ، وهجروا بالليل لذيذ المنام ، وانشرحت صدورهم بالتراويح والقيام ، وتلاوة القرآن ومناجاة الملك العلام ، وياخسارة من فرط بالتوبة والإنابة ، ورد عن أبواب الإجابة ، فازداد برمضان وزراً على وزره ، واكتسب بأيامه خسراً على خسره .

فالسعيد فى يوم العيد من يتذكر الوعد والوعيد ، ويطلب من مولاه المزيد ، فهو يوم يتفضل فيه الملك المجيد ، بعتق الإماء والعبيد .

قال الزهرى : « إذا كان يوم الفطر ، وخرج الناس إلى الجبّان ، اطلع الله عليهم فقال : لى صمتم ، ولى قمتم ، ارجعوا مغفورا لكم » فمن وفَّى ما عليه كاملا ، وفِّى له الأجر كاملا ، ومن نقص من العمل الذى عليه نقص من الأجر بحسب نقصه ، فلا يلم إلا نفسه ، غدا توفى

النفوس ما كسبت ، ويحصد الزارعون ما زرعوا ، إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ، وإن أساءوا فبئس ما عملوا .

فصل

واعلموا رحمكم الله ، أن السلف الصالح كانوا يجتهدون فى إتمام العمل وإكماله وإتقانه ، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده وهؤلاء الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة .

وروى عن على رضى الله عنه قال : « كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل ، ألم تسمعوا الله يقول : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ .

وقال بعض السلف : كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم » .

وعن الحسن قال : « إن الله جعل رمضان لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا » .

روى عن على رضى الله عنه : « أنه كان ينادى فى آخر ليلة من

شهر رمضان : ياليت شعرى من هذا المقبول فنهنيه . ومن هذا المحروم فنعزيه ؟ أيها المقبول هنيئاً لك ، أيها المردود جبر الله مصيبتك .

وحافظوا عباد الله على الصلاة وإكمالها وإتقانها وأدائها فى المسجد مع الجماعة ، فقد حث صلى الله عليه وسلم على الصلاة .

وقد روى مسلم وأبو داود وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدي وأنها من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا ، وما يتخلف عنها إلا منافق ، معلوم النفاق ، أو مريض .

ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتي يقام فى الصف - يعنى يتكىء عليهما من ضعفه - حرصاً على فضل الصلاة ، وخوفامن الإثم فى تركها .

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته ، فإن صلحت

فقد أفلح ، وأنجح ، وإن فسدت ، فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب تبارك وتعالى : انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ؟ ثم يكون سائر عمله على ذلك » وفى رواية : « ثم الزكاة مثل ذلك ، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك » رواه أبو داود .

ويا عباد الله : أكثروا من ذكر الله والاستغفار ، ولازموا طاعة ربكم بالليل والنهار ، وصوموا ستة أيام من شوال يكتب لكم صيام السنة على الكمال .

فصل

واعلموا رحمكم الله أنه لما كانت المغفرة والعتق من النار ، كل منهما مرتب على صيام رمضان وقيامه ، أمر الله سبحانه وتعالى عند إكمال العدة بتكبيره وشكره ، فقال تعالى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ .

فشكر من أنعم على عباده بالصيام والقيام وإعانته عليهما ومغفرته لهم بهما ، وعتقهم من النار ، أن يذكروه ، ويشكروه ، ويتقوه حق تقاته .

وقد فسر ابن مسعود تقواه حق تقاته : بأن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ، ويستحب الإكثار من ذكر الله ليلتى العيدين ، والجهر به فى البيوت ، والأسواق ، والمساجد ، وغير ذلك . ووقته من رؤية هلال العيد إلى فراغ الإمام من الخطبة وصفته شفعاً : « الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد » ويسن رفع الصوت بذلك للرجال اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لأنهم يفعلون ذلك .

وفى حديث ابن عباس مرفوعا : « إذا كان يوم الفطر هبطت الملائكة إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع من خلق الله إلا الإنس والجن ويقولون : يا أمة محمد: اخرجوا إلى رب كريم يعطى الجزيل ، ويغفر الذنب العظيم ، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله لملائكته : ياملائكتى ، ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فيقولون : إلهنا وسيدنا أن توفيه أجره . فيقول : إنى أشهدكم إنى جعلت ثوابهم من صيامهم ، وقيامهم رضائى ، ومغفرتى ، انصرفوا مغفوراً لكم » خرجه مسلم وابن شبيب .

يا من يبيت على اللذات معتكفا ... الموت يأتيك والآفات تنتظر

لا تحقرن يسير الخير تفعله ... فرب نفع لشىء وهو يحتقر

وجانب الشر لا تسلك طريقته ولا يكن لك فى أصحابه أثر

فكل نفس ستجزى بالذى فعلت وليس للخلق من ديانهم وزر

تأتى الجلود وأيدينا وأرجلنا فيشهدون معا والسمع والبصر

فليت شعرى من كانت جوارحه هى الشهود عليه كيف يعتذر

أم أين يهرب أم ماذا يقول وهل يطيق دفعا لها أم كيف ينتصر

عباد الله : كم بين من حظه فيه القبول والغفران ؟ ومن حظه فيه الخيبة والخسران ، ماذا فات من فاته خير رمضان ؟ وأى شىء أدرك من أدرك فيه الحرمان ؟

اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

اللهم عافنا واعف عنا ، يامقلب القلوب ، ثبت قلوبنا على دينك.
اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فصـــل

فى فضل اتباع رمضان بصيام ستة أيام من شوال

روى مسلم فى صحيحه عن أبى أيوب رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال ، كان كصيام الدهر » . واستحب صيام ستة أيام من شوال أكثر العلماء .

روى ذلك عن ابن عباس وطاوس والشعبى وميمون بن مهران وهو قول ابن المبارك رحمه الله والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم ، وأكثر العلماء على أنه يستحب صيامها متتابعة أول الشهر ثانى الفطر.

وقد روى فى ذلك حديث مرفوع : « من صام ستة أيام بعد الفطر متتابعة ، فكأنما صام السنة » خرجه الطبرانى وغيره .

وفى حديث عمران بن حصين رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه قال لرجل : إذا أفطرت فصم ، وإنما كان صيام رمضان واتباعه بست من شوال بعد صيام الدهر ، لأن الحسنة بعشر أمثالها » .

وقد جاء ذلك مفسراً من حديث ثوبان رضى الله عنه عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صيام رمضان بعشرة أشهر ، وصيام ستة أيام بشهرين ، فذلك صيام السنة» «يعني صيام رمضان وستة أيام بعده» خرجه الإمام أحمد والنسائي وهذا لفظه. وخرجه ابن حبان في صحيحه وصححه أبو حاتم الرازي .

وقال الإمام أحمد : ليس في أحاديث الباب أصح منه ، ولا فرق في ذلك بين أن يكون رمضان ثلاثين أو تسعا وعشرين ، وعلى هذا حمل بعضهم قول النبي صلى الله عليه وسلم : « شهرا عيد لا ينقصان : رمضان وذو الحجة » وقال : المراد كمال أجره سواء كان ثلاثين أو تسعا وعشرين ، وأنه إذا أتبع بستة أيام من شوال ، فإنه يعدل صيام الدهر على كل حال .

فبادروا عباد الله زمن الصحة بصيام ستة أيام واجتهدوا في هذه الليالي والأيام .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا : « الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفار » .

فياعباد الله : انتهزوا الفرصة في المبادرة بصالح الأعمال ، واحذروا المعاصي فإنها موجبة للخسران والإذلال ، ولا تبطلوا ما أسلفتم في شهر الصيام من صالح الأعمال ، ولا تكدروا ما صفا لكم فيه من الأوقات والأحوال ، ولا تغيروا ما عذب لكم فيه من لذة المناجاة والإقبال .

فصــل

وفى معاودة الصيام بعد رمضان فوائد عديدة منها :

أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله كما سبق .

ومنها : أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الراتبة قبل الصلاة المفروضة وبعدها ، فيكمل بذلك ما حصل فى الفرض من الخلل والنقص ، فإن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة .

كما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة وأكثر الناس فى صومه « الفرض نقص وخلل فيحتاج إلى ما يجبره ويكمله من الأعمال الصالحة » .

ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول الرجل : صمت رمضان كله ، أو قمته كله. قال الصحابى : فلا أدرى أكره التزكية أم لا بد من غفلة ؟

ويا عباد الله : أكثروا من ذكر الله والتسبيح والاستغفار .

ففى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الكلام أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .

وروى مسلم أيضاً عن أبى مالك الأشعرى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله ، تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها » .

وروى البخارى عن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها من النهار موقنا بها فمات قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » .

وروى ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفاراً كثيراً » .

عباد الله : إن من آثر الشهوات أوردته الهلكات ، ومن أدخل جوفه الحرام مات ، ومن انقاد للهوى هوى به في هوات ، ومن أطاع الشيطان قاده إلى المخازى والمذلات .

فصـــل

ومن فوائد معاودة الصيام بعد صيام رمضان قبول صوم رمضان ، فإن الله سبحانه وتعالى إذا تقبل عمل عبده وفقه لعمل صالح بعده ، كما قال بعضهم : من ثواب الحسنة ، الحسنة بعدها ، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها ، كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى ، كما أن من عمل حسنة ، ثم أتبعها بسيئة ، كان ذلك علامة على رد الحسنة وعدم قبولها .

ومنها : أن صيام رمضان موجبا مغفرة ما تقدم من الذنوب كما سبق ذكره ، وأن الصائمين لرمضان يستوفون أجورهم يوم الفطر ، وهو يوم الجوائز ، فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكراً لهذه النعمة ، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتورم قدماه فيقال له :

أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول : « أفلا أكون عبداً شكورا » ؟.

وقد أمر الله بشكر نعمة صيام رمضان فقال تعالى : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ فمن شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه أنه يصوم عقب ذلك شكرا .

إذا أنت لم تزدد على كل نعمة ، لموليكها شكراً فلست بشاكر ، كل نعمة على العبد من الله فى دين أو دنيا تحتاج إلى شكر عليها وهكذا أبدا ، فأما مقابلة نعمة التوفيق لصيام رمضان بارتكاب المعاصى بعده ، فهو من فعل مَنْ بَدَّلَ نعمة الله كفراً ، فإذا كان عزم على معاودة المعاصى بعد انقضاء رمضان ، فصيامه عليه مردود ، وباب الرحمة فى وجهه مسدود .

عباد الله : إن أكيسكم أكثركم للموت ذكراً ، وأحزمكم أكثركم له استعداداً ، ألا وإن من علامات العقل التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والتزود لسكنى القبور ، والتأهب ليوم النشور .

فى الصحيحين عن أبى قتادة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه مر عليه بجنازة فقال : مستريح أو مستراح منه . قالوا : يارسول الله ، ما المستريح والمستراح منه ؟ فقال : العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلي رحمة الله ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب ، فإن الفاجر يبغضه الله فتتأذى به الأرض ومن فيها » .

فصل

ومن فوائد الصيام بعد رمضان : أن الأعمال التى كان يتقرب بها إلى ربه فى شهر رمضان لا تنقطع بانقضاء رمضان ، بل هى باقية بعد انقضائه مادام العبد حيا .

وهذا معنى الحديث المتقدم ، أن الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفار ، يعنى الذى يفر فى سبيل الله عن القتال ، ثم يعود إليه ، وذلك لأن كثيراً من الناس يفرح بانقضاء رمضان وخروجه لاستثقال الصيام ومله وطوله عليه ، ومن كان كذلك لا يعود إلي الصيام سريعاً والعائد إلى الصيام يدل عوده على رغبته بالصيام ، وأنه لم يمله ولم يستثقله ولا تكره به .

وفى حديث خرجه الترمذى مرفوعا : « أحب الأعمال إلى الله ، الحال المرتحل » وفسر بصاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره كلما حل ارتحل ، وفى المعنى والله أعلم قيل لبشر : إن قوما يتعبدون ويجتهدون فى رمضان . فقال : بئس القوم قوم لا يعرفون لله حقا إلا فى رمضان ، إن الصالح الذى يتعبد ويجتهد السنة كلها وكان النبى صلى الله عليه وسلم عمله ديمه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أحب الأعمال إلى الله أدومه وإنه قل » .

وفى حديث أبى هريرة : « يقول الله تعالى : وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » .

فيا عباد الله ، حافظوا على الطاعات ، ولازموا حضور الجمع والجماعات ، واحرصوا على إكمال الصلاة ، بشروطها وأركانها والمستحبات .

فنى البخارى : « أن حذيفة رضى الله عنه رأى رجلا لا يتم ركوعه ولا سجوده ، فلما قضى صلاته دعاه فقال : ما صليت ولو مت مت على غير الفطرة التى فطر الله عليها محمد صلى الله عليه وسلم » .

وروى أحمد عن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسوأ الناس سرقته الذى يسرق من صلاته . قالوا : يارسول الله ، وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها » .

ومن إكمال الصلاة تسوية صفوفها . قال : صلى الله عليه وسلم « سووا صفوفكم ، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة » .

فاتقوا الله عباد الله ، وانظروا فى صلاتكم وصلاة من يصلى معكم . قال صلى الله عليه وسلم : « ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه فتعليم الجاهل فريضة واجب لازم ، والتارك لذلك مخطىء آثم » .

فصـل

واعلموا رحمكم الله : أن عمل المؤمن لا ينقضى حتي يأتيه أجله قال الحسن : « إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلا دون الموت ، ثم قرأ : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ .

فهذه الشهور والأعوام والليالى والأيام كلها مقادير للآجال ، ومواقيت للأعمال ، ثم تنقضى سريعا ، وتمضى جميعا ، والذى أوجدها وابتدعها ، وخصها بالفضائل وأودعها باق لا يزول ، ودائم لا يحول ، هو فى جميع الأوقات إله واحد ، ولأعمال عباده رقيب مشاهد .

لما انقضت الأشهر الثلاثة الكرام ، التى أولها الشهر الحرام ، وآخرها شهر الصيام ، أقبلت بعدها أشهر الحج إلى بيت الله الحرام ، فكما أن من صام رمضان وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه ، فمن حج البيت ، فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه ، كيوم ولدته أمه كل وقت يخليه العبد من طاعة الله فقد خسره ، وكل ساعة يغفل فيها عن ذكر الله تكون عليه تره .

واعلموا رحمكم الله : أن الصلاة آخر وصية رسول الله صلى الله

عليه وسلم حين خروجه من الدنيا جعل يقول : « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أفاق من غشيته وهو فى سياق الموت يقول : « أصلى الناس ؟ قالوا : نعم . قال : لاحظ فى الإسلام لمن ترك الصلاة » ثم دعا بماء فتوضأ وصلى .

فأحسنوا رحمكم الله صلاتكم وتمسكوا بها ، وإياكم ومسابقة الإمام فيها فأتموا ركوعها وسجودها ، وعدلوا صفوفها ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يلفت يميناً وشمالا ويقول : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم » .

وعليكم عباد الله بإصلاح السرائر ، فإنه لا ينفع مع فسادها صلاح ظاهر ، من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى ، وعلامة ردها أن يصل تلك الطاعة بمعصية .

سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات ، وتعوذوا بالله من تقلب القلوب ، ومن الجور بعد الكور ، فإن من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : « يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » .

فصـــل

فإن قال قائل : فلو صام صائم هذه الستة الأيام من غير شوال لحصل له هذا الفضل ، فكيف خص صيامها من شوال ؟

قيل : صيامها من شوال يلتحق بصيام رمضان في الفضل ، فيكون له أجر صيام الدهر فرضا ، ذكر ذلك ابن المبارك وذكر أنه في بعض الحديث حكاه عنه الترمذي في جامعه ؟ ولعله أشار إلى ماروى عن أم سلمة رضي الله عنها : « أن من صام الغد من يوم الفطر ، فكأنما صام رمضان » .

فيا شباب : التوبة ، لا ترجعوا إلى ارتضاع ثدي الهوى بعد الفطام ، من ترك شيئاً لله لم يجد فقده وعوضه الله خيراً منه ﴿ إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم ﴾ .

وفي الحديث : « النظر سهم مسموم من سهام إبليس من تركه من خوف الله أعطاه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه » خرجه الإمام أحمد ، وهذا خطاب للشباب .

فأما الشيخ إذا عاود المعاصي بعد انقضاء رمضان فهو أقبح وأقبح ،

لأن الشاب يؤمل معاودة التوبة فى آخر عمره وهو مخاطر ، فإن الموت قد يعاجله وقد يطرقه بغتة ، فأما الشيخ فقد شارف مركبه ساحل المنون فماذا يؤمل ؟

فكن مستعداً لداعي الفنا فكل الذى هو آت قريب

عباد الله : جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصلاة عمود الإسلام » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون الصلاة » .

ولاحظ فى الإسلام لمن ترك الصلاة ، فكل مستخف بالصلاة فهو مستخف بالإسلام ، وعليكم عباد الله بالصدق

ففى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وأن الفجور يهدى إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

واعلموا أن الدنيا دار تكليف لا منزل راحات، فاحذروا لذاتها فإنها مسمومات، كان العارفون يقنعون فيها بأدنى الكفايات، ما ضرهم ما مضى وفات، وقد عوضوا رضا ربهم والجنات .

لقد عاشوا بالذكر الجميل بعد الممات ، وأسماءهم مشهورة فى السموات ، وغدا تتلقاهم الأملاك بالتحيات والبشارات .

فنسأل الله أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم ، ومقربا إليه وإلى دار النعيم المقيم .

اللهم اجعلنا بطاعتك عاملين ، وعلى ما يرضيك مقبلين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تم هذا الكتاب بقلم جامعه وممليه إبراهيم بن عبد العزيز الغريّر غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وإخوانه المسلمين آمين .

اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا محمد .

وظائف العشر الأواخر

من رمضان المبارك

عشرة فصول ، لكل ليلة فصل

الفصل الأول

فى فضل العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله الذى أوضح سبيل هدايته لأرباب ولايته وأبهج . وحرك أهل عبادته إلى معاملته وأزعج : وأبدا بدايع قدرته فى محكم صنعته وأخرج ، وأوقد نيران محبته فى أفئدة أحبته وأجج . من عرف لطفه ثنى عطفه إليه وأدلج . ومن خاف عتبه ترك ذنبه وتحرج . يحب الإخلاص فى الأعمال ولا يخفى عليه البهرج . حليم فإن غضب مكر بالعبد واستدرج . لاتغتر بحلمه فكم عقاب فى الحلم أدرج . لايخفى عليه ضمير القلب فى سواد الليل ولا طرف أدعج . يبصر جرير اللبن يسرى فى العروق نحو المخرج وينزل إلى السماء الدنيا فأين الذى بالمنجاة والاستغفار يلهج فيستعرض الحوايج إلى أن يلوح الفجر ويتبلج . ورد بذلك النقل ومن عرف رىء الحق أبلج . هذا مذهب من القرآن القديم والنقل القويم مستخرج ، وهو المنهاج السليم فلا تعرج عن المنهج أحمده . على ما أسر وأزعج وأشهد بوحدانيته شهادة موقفن

ما تلجلج وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الذى محاسن الشريعة فى شريعته تدرج . صلى الله عليه وعلى صاحبه أبى بكر أول من أنفق ماله وأخرج . وعلى عمر الذى اضطر كسرى إلى الهرب وأخرج . وعلى عثمان المظلوم وقد عدل وما عدل ولا عرج . وعلى علىّ مبيد الطغاة فلم يكن لهم من مهرب ولا مخرج . وعلى سائر آله وأصحابه الذين نصر الله بهم الدين وأبهج . وسلم تسليما . عباد الله إن عشركم هذا هو العشر الأخيرة . وفيه الخيرات والأجور الكثيرة . تكمل فيه الفضائل . وتتم فيه المفاخر . ويطلع على عباده الرب العظيم القادر . ويشيلهم الثواب الجزيل والحظ الوافر . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسهر ليله . ويحمل كله ويقوم الليل كله . فالسعيد من أكرمه وأجله . والبعيد من أهانه واستقله . وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم تعظيم هذا العشر على باقى الدهر، كان صلى الله عليه وسلم يخصه بالاعتكاف والقيام إذا أدخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله وكان صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم فإذا دخل العشر لم يذق غمضا . كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر طوى فراشه واعتزل نساءه . كان يخص العشر بالاعتكاف والاغتسال بين العشائف

والتنظف والتطيب وإحياء الليل. فبادروا عباد الله بالتوبة والاستغفار والابتهال . إلى ذى الجلال والأفضال . فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعونى فأستجب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له» وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول «إن فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة» وقال صلى الله عليه وسلم «أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله تلك الساعة فكن» وقال صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام ، يامسكين متى تكون من الذين عاملوا مولاهم وانفردوا . وقاموا فى الدجى فركعوا وسجدوا . وقاموا إلى بابه فى الأسحار ووفدوا . وصاموا هواجر النهار وصابروا واجتهدوا . ولقد ساروا وخلفت وفاتك ماوجدوا . أين أنت من قوم إذا تلذذ الغافلون بالنوم تلذذوا بقيام الأسحار . فسيكرمهم الكريم إذا وفدوا عليه يوم المذار . ولو شاهدتهم إذا ساروا فزاروا الملك الجبار . والملائكة يدخلون عليهم من كل باب

سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » عن معاذ رضى الله عنه قال « قلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلني الجنة، ويباعدنى من النار. قال: لقد سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسره الله عليه تعبدالله لاتشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت. ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جُنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) حتى بلغ (يعملون) ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يارسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه ؟ الجهاد ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت بلى يارسول الله فأخذ بلسانه قال: كَف عليك هذا . فقلت: يانبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلاحصائد ألسنتهم » وروى البيهقى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل» فأول مايؤمر به العبد الإخلاص فى قراءته وأن يريد بها الله سبحانه وتعالى ويتأوب مع القرآن ويستحضر فى ذهنه أنه يناجي الله سبحانه على حال من يرى الله ، فإن لم يره فإن الله سبحانه يراه . وينبغى للقارىء أن يكون شأنه الخشوع . والتدبر والخضوع . ويستحب البكاء فإنه صفة العارفين وشعار عباد الله

الصالحين قال الله تعالى (ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً) .

واعلموا رحمكم الله أن هذا العشر قد أوجب الله عليكم تعظيمه واحترامه . وأجزل الثواب لمن صلى ليله وقامه . هذا عشر محو الذنوب . هذا عشر حياة القلوب . هذا وقت تلاوة الكتاب . وعمارة المحراب . فالفضائل في هذا العشر كثيرة . والمصالح وافرة غزيرة . فالسعيد من قبل وعمل . والشقي من طرد وخذل . ومن الفضائل ففيه إطعام الطعام . وتفطير الصوام . فإنه ورد عن خير الأنام . «من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار» فياعباد الله أكثروا من ذكر الله والصلاة . وتلاوة القرآن والصدقات ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله : إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»

اللهم أسلك بنا سبيل الأبرار ، وامنن علينا بالعفو والعتق من النار ، واحفظنا عن المعاصي فيما بقي من الأعمار . وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين . برحمتك يا أرحم الراحمين .

الفصل الثانى

بالاجتهاد بالعمل فى العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله خالق الخلق كلهم من تراب . وفارق ما بينهم فى المعانى والآداب . رفع عن أبصار بصائر الأولياء الحجاب . وأشهدهم ما خفى عن غيرهم وغاب ، فهم على باب الدلالة للخلق على الباب . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب . وشغل الجهال الطعام بالطعام والشراب . فهم من جمع الحطام بين المجىء والذهاب يعمرون بالشهوات أجسامهم والقلوب فى خراب . وما أبيض لهم عارض حتى اسود الكتاب فإذا عاينوا تفريطهم عند الموت بان المرتاب، ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . أحمده على كل ما عوض، وناب وأقر بوحدانيته من غير شك ولا ارتياب . وأصلى على رسوله محمد الذى عرج به فكان قاب . صلى الله عليه وعلى أبى بكر السابق إلى الفضائل ولأسبق القراب . وعلى العادل عمر بن الخطاب . وعلى عثمان منفق المال على الإسلام بغير حساب . وعلى ابن عمه وزوج بضعته على لب اللباب . وسلم تسليما .

عباد الله إن عشر رمضان قد نزل ببركاته إليكم . وأشرف بفضله وشرفه عليكم . فأعدوا لقدومه عدة . وسلوا الله فيه التوفيق إلى أن

تكملوا العدة ، وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فى ثلث الليل الآخر، وذلك كل ليلة فيقول هل من تائب هل من سائل هل من مستغفر» وفى الحديث : إن «الحور تنادى فى شهر رمضان هل من خاطب إلى الله فيزوجه مهور الحور طول التهجد» وهو حاصل فى هذا الشهر أكثر من غيره . عباد الله قد ذهب عنكم أكثر شهر رمضان . وأنتم اليوم فى العشر الحسان ، وهذه عشر الأعتاق من النيران . لمن ترك الذنوب واستحيا من رقيبه . يقول الله سبحانه وتعالى «الصوم لى وأنا أجزى به» . عشر فيه الأحباب بالدعاء يعجون . وبالتضرع فى جميع أوقاته يضجون . وفى دياجيه للمولى الكريم يناجون ، واحذروا غيبة الناس فإنها تحبط الأجر ، وجانبوا أكل الحرام فإنه سبب الطرد والهجر . وعظموا عشركم فإنه عظيم الأجر . وانظروا فيه بحسن اليقظة لليلة القدر . فإنها غريبة غريبة وعجيبة عجيبة . واجتهدوا فيه رحمكم الله بالصلاة والقيام . فإذا سلم رمضان سلم جميع العام . عساه يقيك شر الوقوف على الأقدام . يوم يفر المرء من أخيه والنسيب من نسيبه . الصوم لى وأنا أجزى به . وتأملوا كتاب الله المجيد . وما فيه من الوعد والوعيد . فقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يمر بالآية فى ورده فتخنقه العبرة فيبكى حتى يسقط ، ويلزم بيته حتى يعاد يحسبونه مريضا ، وكان يسمع حنينه من وراء

ثلاثة صفوف ، وكان رضى الله عنه يطوف على بيوت الأرامل والضعفاء ويقول : من كل محتاجا فليأتنا . وكان أشد الناس فى أمر الله لا تأخذه لومة لائم وكان رضى الله عنه يحمل جراب الدقيق على ظهره للأرامل والأيتام . فقال بعضهم : دعنى أحمل عنك ياأمير المؤمنين . فقال : ومن يحمل عنى ذنوبى يوم القيامة . قال كعب : إذا وضع العبد الصالح فى قبره احتوشته أعماله الصالحة فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة : إليكم عنه لا سبيل لكم عليه فقد أطال القيام لله عز وجل ، فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لاسبيل لكم عليه فلقد أطال ظمأه فى دار الدنيا . فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه ، فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله عز وجل . فيقال له نم هنيئاً فقد طبت حيا وميتاً وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرشه فراشاً من الجنة ودثاراً من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره إلى يوم القيامة . قال الحسن رحمه الله : دركنا أقواما ما كانوا يردون السائل إلا بشىء ، ولقد كان الرجل منهم يخرج من بيته فيأمر أهله ألا يردوا سائلا . وكان على بن الحسين إذا أتاه السائل قال : مرحباً بمن يحمل زادى إلى الآخرة . كم بينك وبين الموصوفين . كما بين

المجهولين والمعروفين . أثرت الدنيا وأثروا الدين . فتلمح تفاوت الأمر يامسكين . أما الفقير فلا يخطر ببالك . وإذا جاء سائل غلظت له فى مقالك . فإن أعطيته فحقيرا يسيرا من مالك . فبادروا عباد الله بإخراج الزكاة إلى الفقراء والمساكين والقرابات . وتنقوا الأجود للفقير فإن الذى تعطونه هو الذى تجدونه يوم القيامة قال النبى صلى الله عليه وسلم « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا يارسول الله مامنا أحد إلا ماله أحب إليه . قال : فإن ماله ماقدم ومال وارثه ماأخر » رواه البخارى.
واعلموا رحمكم الله أن الزكاة أحد أركان الإسلام قال صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس » فذكر أحد هذه الزكاة. وقد توعد الله مانعها بالعذاب الأليم. وقال صلى الله عليه وسلم « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » وأعطوا الفقير بانشراح صدر ولطف وحسن خلق ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، من أخرج لله شيئاً فليكن من أطيب ماله وليوقن بمضاعفة الأجر والثواب.
واعلموا رحمكم الله أن كل ساعة تمر على ابن آدم فإنه يمكن أن تكون ساعة موته. قال بعض السلف: أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين فإذا ابن آدم

لا يدرى متى يفجأه الموت ليلا أو نهاراً صباحا أو مساء . قال الله تعالى (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) والتوبة ليست قولا باللسان ولكن لها شروط وأركان: الأول الإقلاع عن المعصية ، والثانى الندم على فعلها ، والثالث العزم على ألا يعود إليها أبداً ، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى فلها شرط رابع أن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت مظلمة من مال ونحوه أداه إليه، ومتى قصر فى قضاء دين أورد مظلمة دل على ضعف التوبة .

اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها . ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها . بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها ، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم . فى جنات النعيم . مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والأموات برحمتك ياأرحم الراحمين . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

الفصل الثالث

فى فضل ليلة ثلاث وعشرين

الحمد لله اللطيف الرؤوف العظيم المنان. الكريم القديم الديان. العليم القدير السلطان . الحكيم الرحيم الرحمن . الأول فلا سابق لسبقه المنعم فما قام مخلوق بحقه . الموالى بفضله على سائر خلقه. بشرائف المنح على توالى الزمن جل عن شريك وولد . وعن الاحتياج إلى أحد. وتقدس عن نظير وانفراد يعلم ما يكون وأوجد ما كان. أوجد المخلوقات بحكمته وصنعها . وفق الأشياء بقدرته وجمعها . ودحى الأرض على الماء ووضعها . والسماء رفعها . ووضع الميزان يضر ويذل ويفقر ويغنى . ويسعد ويشقى ويضنى ويبقى . ويشين ويزين . وينقض ويبنى . كل يوم هو فى شأن . قدر الأمور فلا راد لحكمه ، وعلم سر العبد وباطن عزمه . وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه . ولا ينقل قدم من مكان إلى مكان . مد الأرض فأوسعها بقدرته . وأجرى فيها أنهارا بلطيف صنعته، وصبغ ألوان نباتها بحكمته . فهل يقدر أحد على صبغ تلك الألوان ثبتها بالجبال الراسيات فى نواحيها . وأرسل السحاب بماء يحييها وقضى بالفناء على جميع ساكنيها . فكل

من عليها فان . من خدمه طامعا فى فضله نال، ومن لجأ إليه فى رفع كربه زال . ومن عامله وجده وقد قال (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) إله يثيب عباده ويعاقب . ويهب الفضائل ويمنح المواهب بالفوز المتقى والعز للمراقب . (ولمن خاف مقام ربه جنتان) . أنعم على هذه الخليقة بتمام إحسانه . وعاد عليهم بفضله وامتنانه . وجعل عشرنا هذا مخصوصا بعميم غفرانه . أعنى عشر رمضان ، أحمده على ما خصنا به من الصيام والقيام وأشكره على تمام الفضل وسبوغ الإنعام . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الذى لاتحيط به العقول ولا تدركه الأوهام . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله المخصوص بشريعة الإسلام . وأفضل خلقه وتربيته المقدم على الأنبياء ببقاء معجزته . الذى انشق ليلة ولادته الإيوان . صلى الله عليه وعلى أبى بكر رفيقه فى الغار . وعلى عمر فتاح الأمصار . وعلى عثمان شهيد الدار . وعلى علىّ راسخ الإيمان . وعلى سائر الآل والأصحاب على توالى الزمان . وسلم تسليما كثيرا على الدوام . عبادالله هذه ليلة ثلاث وعشرين وقد قال قوم أنها ليلة القدر. روى عن على رضى الله عنه : أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين . وقال ابن مسعود رضى الله عنه « اطلبوا ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين » وروى الشافعى أن أرجاها ليلة ثلاث وعشرين . وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقيامها وقال « من قام

ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» وقيامها إحياء ليلها بالتهجد والصلاة. قالت عائشة «يارسول الله إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتهجد في ليالي رمضان ويقرأ قراءة مرتلة لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل أو بآية فيها عذاب إلا تعوذ، فيجمع بين القراءة والصلاة والدعاء والتفكر، وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها. قال الشافعي: أحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلها، المحبون تطول عليهم الليالي فيعدونها عداً لانتظار ليالي العشر كل عام، فإذا ظفروا بها نالوا مطلوبهم وخدموا محبوبهم. كان معاذ رضي الله عنه إذا تهجد من الليل قال: اللهم نامت العيون، وغادت النجوم. وأنت حي قيوم.

عباد الله، اغتنموا هذه الأوقات وأكثروا من الدعاء والتضرع إلى عالم السر والخفيات. قال الله تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «الدعاء هو العبادة» وعليكم بجوامع الدعاء التي تجمع خير الدنيا والآخرة. ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». ومن دعائه صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أسألك الهدى،

والتقى والعفاف والغنى، اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى. اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمك، وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك . اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من العجز والكسل، أعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال، اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك، واغننى بفضلك عمن سواك، اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع، ومن قلب لايخشع ، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لايستجاب لها ».
وقال صلى الله عليه وسلم « سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة» وقالت أم سلمة رضى الله عنها «كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » ومن دعائه صلى الله عليه وسلم «اللهم إنى أسألك الجنة وماقرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم، والظوا بياذا الجلال والإكرام» أى الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها . روى ابن ماجه عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » .

عباد الله إلى متى تجمعون مالا تأكلون وتبغون مالا تسكنون ـ والجيد فى بيوتكم تدخرون . والردىء إلى الفقير تخرجون (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) . اللهم عاملنا بإحسانك وتولنا برحمتك وغفرانك . واجعلنا من عبادك الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون . اللهم لا تحرمنا بذنوبنا ولا تطرنا بعيوبنا ، وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وغفرانك . وألحقنا بالذين أنعمت عليهم فى دار رضوانك . واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين ، برحمتك ياأرحم الراحمين .

الفصل الرابع

فى فضل السبع الأواخر من عشر رمضان وليلة القدر

الحمد لله الذى ظهر لأبصار البصائر عيانا، فامتلأت قلوب عارفيه به إيمانا، الحى الباقى فلا يزول ولا يتفانى السميع البصير فهو يسمعنا ويرانا. نحمده على ما منحنا وأولانا، ونشكره وكيف لا نشكر مولانا. ونشهد له بالوحدانية سراً وإعلانا، وأن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله وشجرة الكفر قد فرعت أغصانا، فقطعها بمنجل مجاهدته. وزرع من حقائق الإيمان بستانا، صلى الله عليه وعلى أصحابه الذين كانوا أنصاراً له على الحق وأعوانا. ونزع ما فى صدورهم من غل إخوانا. أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا. ورزقنا الله محبتهم على الوصف الذى وصانا. فمنهم أبو بكر الذى يوقد فى قلوب مبغضيه نيرانا وعمر الذى جعل لعطاء المسلمين ديوانا. وعثمان الذى يقطع الليل صلاة وقرآنا. وعلى الذى نهواه معاشر أهل السنة ويهوانا. ماعلت الورق منابر الورق ورجعت ألحانا.

عباد الله، قد أقبلت إليكم ليلة القدر. ولها أعظم الشرف وأوفى الأجر. ليلة شرفها الله على غيرها. ومنَّ على عباده

بجزيل خيرها . ليلة أنزل الله فيها القرآن وأجزل فيها الأفضال والإحسان، ووالى اللطف على خلقه فيها والامتنان. وشرف قدرها على سائر الزمان. ليلة لاتشبه ليالى الدهر. ليلة القدر خير من ألف شهر، واعلموا أن هذه الليلة، ليلة أربع وعشرين وهى أول السبع الأواخر، وقال طائفة من أهل العلم: هى ليلة القدر، وممن قال ذلك الحسن البصرى وأهل البصرة كافة. وروى عن أنس أنه يقول ذلك. وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن جرير عن بلال رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين» وروى عن سعيد بن جبير قال «قمنا ليلة مع ابن عباس بالمسجد الحرام فخفق رأسه خفقة فقال: أى ليلة هذه؟ قلنا ليلة أربع وعشرين قال: الليلة، ليلة القدر رأيت الملائكة نزلوا» وقالت عائشة للنبى صلى الله عليه وسلم «أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال قولى: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى» وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول «أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك» قال يحيى بن معاذ لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه لم يبتل بالذنب أكرم الخلق عليه يشير إلى أنه ابتلى كثيرا من أحبابه وأوليائه بشىء من الذنوب ليعاملهم بعفوه. وقد جاء فى حديث ابن عباس مرفوعا «أن الله ينظر ليلة القدر إلى المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيعفو عنهم ويرحمهم إلا أربعة: مدمن

خمر وعاق ومشاحن وقاطع رحم» وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله » وعن أبى كبشة عمرو بن سعد الأنمارى رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول« ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا واحفظوه : ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها ، وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال: إنما الدنيا لأربعة : نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعمل فيه لله حقا فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل . وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء» رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . ويا عباد الله احضروا قلوبكم فى صلاتكم وعند مناجاة ربكم قال النبى صلى الله عليه وسلم « ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » وفى الحديث الآخر « فإنه لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر

قلب غافل » وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجلين يتوجهان إلى المسجد فيصليان فينصرف أحدهما من صلاته أوزن من أحد، وينصرف الآخر وما تعدل صلاته يه، وإن لم يتمها ضرب بها وجهه » إن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله فإذا أحبه الله حببه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله فإذا أبغضه الله بغضه إلى خلقه. وكان يقول: ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله من موعظة يعظ بها قوما فيتفرقون قد نفعهم الله بها، ويل لكل جماع فاغر فاه كأنه مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عنده لو استطاع "وصل الليل بالنهار. ويل له من حساب غليظ. وعذاب شديد. قال ابن عباس رضي الله عنهما «إن للحسنة نورا في القلب وزينا في الوجه وقوة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق. وإن للسيئة ظلمة في القلب وشينا في الوجه ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق» وكان الإمام أحمد وسفيان الثوري رحمهما الله يتمثلان بهذين البيتين:

تفنى اللذاذة ممن ذاق صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

فاحذروا المعاصي فبئس المطلوب. ما أقبح آثارها في الوجوه والقلوب..

كأنك بالمضى إلى سبيلك . وقد جد المجهز فى رحيلك ، وقد مد الرجال إليك نعشا ، فأنت عليه ممدود بطولك . فلما أسلموك نزلت قبرا . ومن لك بالسلامة فى نزولك . أعانك يوم تدخله رحيم ، رءوف بالعباد على دخولك ، ألست ترى المنايا كل يوم ، تصيبك فى أخيك وفى خليلك ، اللهم ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا ذنوبنا وهب لنا تقواك ، واهدنا بهداك ولا تكلنا إلى أحد سواك ، واجعل لنا من كل هم وغم فرجا ، ومن كل ذنب وضيق وشهوة مخرجا ، اللهم ارحم عبادا غرهم طول إمهالك ، وطمعهم دوام أفضالك وإحسانك ، ومدوا أيديهم إلى كرم نوالك ، وأيقنوا أن لا غناء بهم عن سؤالك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين :

الفصل الخامس

فى فضل ليلة خمس وعشرين من رمضان

الحمد لله المعروف بدليله . الهادى إلى سبيله . المشكور على كثير الإنعام وقليله : الذى تسبحه الأصوات إذا عجت . والسحائب إذا ثجت . والمياه إذا سكنت وارتجت ، والقلوب إذا صبرت على البلايا أوضجت . رافع السماء وبانيها . وساطح الأرض وداحيها . ومثبتها بالأطواد فى نواحيها . العالم بما يحدث فى أقاصيها ودانيها . يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . أحمده على فضله الشامل . وأشكره على إحسانه الكامل . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة ظهر نورها ولاح ، وأشرق هداها فى المساء والصباح . واكتسب قائلها شرفا وتيها . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله والحق داثر . وقدم الصواب عاثر ، والحق مندثر والباطل ظاهر . فقمع الباطل بالحق الظاهر . ونسخ ظلمات الجهالة بنور العلم الزاهر . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تمتد على ممر الزمان تواليها وعلى صاحبه فى الضيق ؛ أبى بكر الصديق . الصابر على الشدة . والثابت على البلايا بنفس مستعدة . القائم فى مقام

الوحدة وحده يوم الردة . المخصوص بفضيلة الغار فمن ذا يدانيها .
وعلى الفاروق عمر بن الخطاب . المنفرد بشدته من بين الأصحاب .
الموفق يوم بدر لإصابة الصواب . المتكلم بلسان الغير حتى ضرب
الحجاب . الذى أشاد أركان الإسلام بعدله وعمّر مبانيها . وعلى عثمان
شهيد الدار . القائم بالأسحار ، الصائم بالنهار ، المخلص فى الأذكار .
جامع سور القرآن وحاويها . وعلى علىّ بن أبى طالب ذى العلم
والزهادة . الحريص على طلب السعادة . جامع العلم والعمل والشهادة .
المطلع على دقائق العلوم ومعانيها . وعلى التابعين لهم بإخلاص الأعمال
وصفاء القلوب . ما ترددت الشمس بين الطلوع والغروب واشتد
النجوم وبدأ باديها . وسلم تسليما كثيراً .

عباد الله اجتهدوا فى إخلاص الأعمال . والابتهال إلى ذى العظمة والجلال
فى بقية هذه الأيام والليالي . ولا تغتروا بهذه الأعمال القصيرة فإنها قريبة
الزوال . واعلموا أن هذه ليلة خمس وعشرين وقد قال طائفة من أهل العلم :
هى ليلة القدر . وروى فيها حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال
« التمسوها أى ليلة القدر فى تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين » قال
مالك أرى والله أعلم : أن التاسعة ليلة إحدى وعشرين والسابعة ليلة ثلاث
وعشرين والخامسة ليلة خمس وعشرين ، واعلموا رحمكم الله أن شهر رمضان

أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار . ولهذا ورد فى الحديث الصحيح أن تفتح فيه أبواب الرحمة . روى أحمد والنسائى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » قال النبى صلى الله عليه وسلم « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام : أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه . ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان » وفى الترمذى وخبره « أن لله عتقاء من النار وذلك كل ليلة » ولكن الأغلب على أوله الرحمة وهى للمحسنين المتقين قال الله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) وقال تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) فيفاض على المتقين فى أول الشهر خلع الرحمة والرضوان . ويعامل أهل الإحسان بالفضل والامتنان . وأما أوسط الشهر فالأغلب عليه المغفرة فيغفر فيه للصائمين وإن ارتكبوا بعض الذنوب الصغار، فلا يمنعهم ذلك المغفرة كما قال تعالى (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) وأما آخر الشهر فيعتق فيه من النار من أوبقته إلا وزاد .

فيا عباد الله حافظوا على الصلاة ، وأدوا ما أوجب الله عليكم من الزكاة

وإياكم والغيبة والنميمة وجميع المنكرات . ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : ذكرك أخاك بما يكره . قال : أرأيت إن كان في أخي ما أقول : قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » وفي صحيح البخاري عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا يرفع الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم » وروى أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما عرج بي مررت بقوم لها أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، فقلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » وقال صلى الله عليه وسلم « من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » . فكأني بك وقد قصم الموت عراك التي بها تمكنت . فأخرجك من دارك التي جودت عمارتها وسكنت . فتفكر في قبر تخلو فيه بما أسأت وأحسنت . إلى أن تقوم للحساب على ما أسررت وأعلنت . فتزين بالتقى فطوبى لك إن تزينت . فلا أم لك تقيك مما يلاقيك . ولا ولد يقدر أنه يفديك . وودعك الأهل وداع

من لا يلتقى . وتصعد الروح من أسفل الجسد وترتقى . فإن كنت طائعاً فزت وإلا أنت الشقى : ليت شعرى إذا دنا انتقالك . فماذا مقالك وماذا ينفعك مالك ، إذا أوبقتك أعمالك. فحاسب نفسك فقد قرب سؤالك . فى الصحيحين «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى الصدقة أفضل ؟ قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخاف الفقر ولا تمهل، حتى إذا بلغت إلى الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا إلا وقد كان لفلان» وفى لفظ مسلم «يقول العبد مالى مالى وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأمضى وماسوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس». روى أبو داود والترمذى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما مسلم كسى مسلماً على عرى كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله هذا الرحيق المختوم» .

عباد الله أين أرباب القيام أين المتهجدون فى جنح الظلام ؟ أين أهل الشفقة والرحمة بالضعفاء والأيتام؟ ذهبوا إلا قليلا منهم فعليهم السلام . اللهم يامن فتح بابه لطالبين وأظهر غناءه للراغبين. نظمنا فى سلك عبادك المفلحين ، واجعلنا من عبادك المخلصين ، وآمنا من الفزع الأكبر يوم الدين ، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك ياأرحم الراحمين.

الفصل السادس

فى فضل قيام الليل

الحمد لله المنفرد بالقدم والبقاء . والعظمة والكبرياء والعز الذى لا يضام، الواحد الأحد الفرد الصمد . الملك الذى لايحتاج إلى مدد . العلى عن مداناة الأوهام ، الغنى بذاته عن جميع مخلوقاته . فالعلوى والسفلى والإنسى والجنى والعرش والكرسى مفتقر إليه وهو الغنى على الدوام . وتبارك الذى غفر وعفى وستر وكفى . وعلم ماظهر وما خفى . وأسبل على الكافة جميع الأنعام ، أحمده على جميع نعمه الوافرة الجسام . وأشكره وأسأله حفظ نعمة الإسلام ، وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده لاشريك له عز من اعتز به فلا يضام . وذل من تكبر عن أمره ولقى الآثام . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى بين الحلال والحرام . حتى عرف طريق القوام . وأنزل تعظيما لحقه وتشريفا وتبينا وتعريفا . قدجاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام صلى الله عليه وعلى أبى بكر الصديق . الذى هو فى الغار خير رفيق ، وعلى عمر بن الخطاب الذى

نزل على لسانه الكتاب، وعلى عثمان مصابر البلاء . ومن نال الشهادة العظمى من أيدى العداء . وعلى ابن عمه على بن أبى طالب . من نص أنه أقضى المشارق والمغارب . الشهيد أبى الشهداء والأئمة الأمناء وعلى جميع الصحابة والقرابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، صلاة دائمة إلى يوم العرض والمقام ، وسلم تسليما . قال الله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) وقال تعالى : (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) وقال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) . وفى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليلة الآخر ،فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له » وفى مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا كان ثلث الليل الباقى يهبط الله إلى السماء الدنيا ثم تفتح أبواب السماء حتى يطلع الفجر » وقال صلى الله عليه وسلم لأبى ذر « يا أبا ذر صم يوما شديداً حره ليوم النشور ، وصل ركعتين فى ظلمة الليل لظلمة القبور » وقال صلى الله عليه وسلم « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » ، وقيل للحسن البصرى ما بال المتهجدين

أحسن الناس وجوها ؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره.
وقال كعب : إن الملائكة ينظرون من السماء الدنيا إلى الذين يصلون
بالليل فى بيوتهم كما تنظرون ، إلى النجوم فى السماء وفى الحديث الصحيح
قال الله تعالى «أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر» روى أن الله تبارك وتعالى أوحى إلي داود
عليه السلام « ياداود كذب من ادعى محبتى وإذا جن الليل نام عنى، أليس
كل حبيب يحب الخلوة بمحبوبه؟ فها أنا مطلع على أحبابى، أرى تضرعهم
وأسمع أنينهم، وأنظر إليهم، ياداود وعزتى وجلالى ما تقرب المتقربون
إلي بعد الفرائض بأحسن من صلاة الليل ، ياداود صلاة الليل نور على
وجه صاحبها يوم القيامة فيدرج فراشه ويصلى الليل كله » .

عباد الله عليكم بالإحسان إلى الجيران وحب المساكين والأيتام ، ففى
الصحيحين «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مازال جبريل يوصينى
بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» وقال صلى الله عليه وسلم «لا يشبع المؤمن
دون جاره» وفى صحيح الحاكم عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم
« ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائعا » وفى رواية «ما آمن من بات
شبعانا وجاره بات طاويا » ، وخرج الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم
قال « ياعائشة أحبى المساكين وقربيهم ، فإن الله يقربك يوم القيامة ،

واعلموا رحمكم الله ، أن المساجد بيوت الله تعالى وقلوب المحبين ببيوت مولاهم متعلقة ، وأقدام العابدين إلى بيوت معبودهم مترددة ، وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » وفى الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « جنات الفردوس أربع اثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما ومافيهما ، وثنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » وعن أبى هريرة قال « قلنا يارسول الله ، حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وملاطها المسك الإذفر وحصباءها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لاتبلى ثيابه ولا يفنى شبابه . دار ليس فيها مايشينها . دار لايفنى منها ما يزينها ، دار لايزول عزها وتمكينها ، دار أشرقت حلالها ، دار جل من بناها ، دار طاب للابرار سكناها ، دار تبلغ النفوس فيها مناها ، دار أين خاطبوها فقد وصفناها ، ثمارهم فى أشجارهم وافرة ، وعيونهم إلى ربهم ناظرة ، وقد حازوا شرف

الدنيا وفوز الآخرة . وأحلى النعيم أنهم لا ينفترون وفاكهة مما يتخيرون
أيحنانهم الجنات والممالك ، ويسلم عليهم في قصورهم المالك ، وإنما وهبنا
لهم جميع ذلك ، لأنهم في خدمتنا يجتهدون ، اللهم ، اللهم يامن لاتضره
المعصية ولا تنفعه الطاعة ، ارحمنا فإنا تائبون إليك في هذه الساعة ،
وتعطف على يد امتدت إليك بالذل والضراعة ، واغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين الأحياء منهم والأموات ، برحمتك ياأرحم الراحمين :

الفصل السابع

فضل فى ليلة سبع وعشرين من رمضان

الحمد لله القديم الأحدى . العظيم الصبدى . الدائم السرمدى ـ رفع بقدرته السماء . وأجرى بحكمته الماء ، وعلم آدم الأسماء . وأمكنه من العشر المضى . فخالف بالأكل الصواب ، فكشف الخلاف عنه الجلباب . فخرج وما يعرف الباب . لشؤم ارتكاب النهى . فما زال يبكى الهفوات . ويستدرك سالف الفوات . حتي عطفت على تلك العبرات . رحمة الراحم الخفى ، فاحذر من الأفعال الخبات . فإنها سبب الالتباث . وتعلق بالمتشبثات . ينقذك من جهل العمى . تفرد بالإنعام والجود . وأذل الأعناق له بالسجود . وتنزه عن مشابهة كل موجود . بالوجود الأزلى ، موصوف بالرضى ويحذر منه السخط ، ومعروف بالكرم فإياك والقنط ، شرط عليك التقوى فقم بالذى شرطها ، فإنه لا ينسى أجر التقى ، قضي القضا قبل خلق الخلق وفرغ ، وأنزل القرآن والزمن من النذر قد فرغ ، لينذركم به ومن بلغ ، باللسان العربى ، وهو المكتوب المسموع المعروف ، المحفوظ المتلو المألوف ، والمتكلم به بالكلام موصوف ، أنزله روح القدس على قلب النبى ـ

لا يخلق على كثرة التكرار ولا يبلى ، ولا يقدر الخلائق على مثله حاشا وكلا ، تعرف الملائكة كل بيت فيه يتلى ، معرفتهم بالكوكب المضيء ؛ أحمده على الفهم القويم القوى ، وأستعيذه من الشيطان الرجيم القوي ، وأشهد بالتوحيد شهادة خالصة من الشك الردى ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أستخرجه من العنصر الزكى ، ونصره بالرعب قبل المشرقى ، وأرسله بالدليل الواضح الجلى ، وزهده فى مجالسة الغنى ، ورغبه فى صحبة الفقير الضعيف القمى ، وعاتبه فى صهيب الرومى ، وبلال الحبشى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ، فصلى الله على سيدنا محمد الهاشمى القرشى ، المكى التهامى ، الزمزمى الأبطحى ، وعلى صاحبه المخصوص بفضيلة ثانى اثنين ، وهو فى القبر مضاجعه كماتين ، كيف لا وقد كانا رفيقين فى الزمان الجاهلى وعلى الذى كانت الشياطين تفرق من ظله ، وتتفرق هيبة من أجله ، إذا سمعوا خفق نعله ، هربوا من الأخوذى ، وعلى مصابر البلا من أيدى الأعداء الذى تستحى منه ملائكة السماء ، سلام الله على ذلك الحيي ، وعلى الذى ملىء علما وخوفا وجاهد على ترك الدنيا فأوفى ، ونحن والله بحبه أوفى ، من حب الرافضى وعلى جميع أصحابه وأزواجه ، وأتباعه على منهاجه ، ماقام مكلف بالفرض الرسمى وسلم تسليما .

عباد الله هذه ليلة سبع وعشرين وقد قال كثير من العلماء : هي ليلة القدر . كما روى الإمام أحمد فى المسند عن ابن عباس « أن رجلا قال يارسول الله إنى شيخ كبير يشق على القيام ، فمرنى بليلة يوفقنى الله بها لليلة القدر ، قال عليك بالسابعة والعشرين » .

وقال صلى الله عليه وسلم « تحروها ليلة سبع وعشرين ، يعنى : ليلة القدر » ورواه حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ، قال «لايزالون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها الليلة السابعة والعشرين » وممن يقول بذلك أبى بن كعب وكان يحلف عليه ولا يستثنى وهو قول أحمد وإسحق .

وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم قال « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

فينبغى للعاقل أن يجتهد ويبادر عمره بالاجتهاد ، فبقدر عمله يزيد جزاؤه ، وعلى قدر تقصيره يقل عطاؤه ، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها .

قال صلى الله عليه وسلم « مامن ميت مات إلا ندم إن كان محسنا ندم ألا يكون ازداد إحسانا ، وإن كان مسيئاً ندم ألا يكون استعتب » .

إذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة فكيف يكون حال المسيء ، فقد ورد أن الموتى يتحسرون على زيادة أعمالهم بتسبيحة أو ركعة .

وروى أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تفرغوا من الدنيا ما استطعتم ، فإنه من كانت الدنيا أكبر همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله له أموره وجعل غناه فى قلبه ،وما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا جعل قلوب المؤمنين تفد إليه بالود والرحمة وكان الله عز وجل إليه بكل خير أسرع» .

واعلموا رحمكم الله أن الأعمال بالخواتيم، فمن أصلح فيما بقى غفر له ما مضى . ومن أساء فيما بقى أخذ فيما بقى وما مضي .

وفى المسند عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن فى هذا الشهر لليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » .

أما خصنا الله بشهر أيما شهر ، بشهر أنزل الرحمن فيه أشرف الذكر، وهل يشبهه شهر وفيه ليلة القدر ، فكم من معتق فيها من النار ، وهو لا يدرى ؛ واختموا مجالسكم بذكر الله والاستغفار ،

والصلاة على النبي المختار ، فقد روى الترمذى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان من مجلسه ذلك » ، وتناصحوا فيما بينكم فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الدين النصيحة » وقال « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

واحذروا مجالسة السفهاء الأشرار ، وعليكم بصحبة الصالحين الأخيار . فصاحب تقياً عالماً تنتفع به ، فصحبة أهل الخير ترجى وتطلب ، وإياك والفساق لاتصاحبنهم ، فقربهم يعدى وذاك مجرب .

إخوانى ليلة القدر يفتح فيها الباب ، ويقرب الأحباب ، ويسمع الخطاب ، ويرد الجواب ، ويرجى للعاملين عظيم الأجر ، سلام هى حتى مطلع الفجر ، ليلة تتلقى فيها الوفود ، ويحصل لهم المقصود ، أترى ما يؤلمك أيها المطرود هذا الهجر ، سلام هى حتى مطلع الفجر ، إذا جن الليل وانسدل الظلام ، قاموا بأقدام العزائم على الأقدام ،

وترنموا بأشرف الذكر وأحلى الكلام . وسرت أسرارهم مسطورة بدمع سجام ، على صحائف خدود إلى الملك العلام ، كم بينك وبينهم يامن رقد ونام .

فى الصحيحين: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبى موسى « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قلت بلى يارسول الله . قال : لاحول ولا قوة إلا بالله » .

اللهم يامن خلق الإنسان وبناه واللسان وأجراه ، يامن لايخيب من دعاه ، هب لكل منا فى هذه الليلة مارجاه ، وبلغه من خير الدارين مناه .

اللهم وإذا اطلعت فى هذه الليلة على خلقك ، فمد علينا بمنك وعتقك ، وقدر لنا من الحلال واسع رزقك ، واجعلنا ممن عرفك وقام بحقك .

اللهم من قضيت بوفاته فاقض مع ذلك رحمتك . ومن قدرت طول حياته فاجعل مع ذلك نعمتك .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، و نعوذ بك

من النار وما قرب إليها من قول وعمل . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين برحمتك ياأرحم الراحمين .

وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل الثامن

فى التحريض على الاعتذار من الهفوات

واستدراك الوقت قبل الفوات

الحمد لله الذى أعان بفضله الأقدام السالكة ، وأنقذ برحمته النفوس الهالكة ، ذو الدنيا ، واعلم أن سيوف غدرها باتكة ، وأعرض عن أهلها إلا القصية الناسكة ، وكيف يسكن إليها ونوق الرحيل بازكة ، وسيقرع محبها سنه ندما إذا أصبحت سن الزاهد ضاحكة ، كم بينك وبينهم يامن نفسه عليها متهالكة ، فالعمل على تقوى رابحة ، لا على انبساط بؤران وعاتكة ، سعد من رأى الدنيا فتبصر ، ورضى بوصف أشعث أغبر ، لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة . أحمده على الأمور اللذيذة والشائكة ، وأقر بتوحيده إقرار عبد يعرف مالكه ، وأصلى وأسلم على نبينا محمد صلوات متداركة ، صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبه أبى بكر الذى تحرض عليه الفرقة الآفكة ، وعلى عمر الذى كانت نفسه لنفسه مالكة ، وعلى عثمان منفق الأموال المتداركة ، وعلى علىّ مجلى الحروب المظلمة الحالكة ، وعلى بقية الصحابة

الذين أنار الله بهم التوحيد ، وأزال ظلم الشرك والأهواء ، المتراكمة ، وسلم تسليما

عباد الله : اعلموا أن هذا عشر مبارك الليالى والأيام وهو سبب لمحو الذنوب العظام . وفيه يتوفر جزيل الأجر والإنعام ، فاعتذروا هذه الليلة إلى المولى الكريم وتعلقوا بذيل جوده فإنه رحيم ، وأقبلوا بالقلوب إليه ، وقفوا بالخشوع والخضوع لديه ، وانكسروا بين يديه ، فإنه رحيم كريم ، مدوا أنامل الرجا إلى بابه ، وأتبعوا البكاء طريق أحبابه . وتعرضوا الليلة لجزيل ثوابه ، واحذروا من سطوته وعقابه .

واعلموا رحمكم الله أن شهر رمضان تكثر فيه أسباب الغفران ، فمن أسباب المغفرة فيه صيامه وقيامه وقيام ليلة القدر فيه ، ومن أسباب المغفرة فيه تفطير الصوّام وذكر الله .

وروى الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم فقال يا محمد أقرأ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وإنها قيعان وإن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ومنها الاستغفار ودعائم الصائم يستجاب فى صيامه وعند فطره » .

وتقدم عن ابن عمر : أنه إذا أفطر قال : اللهم ياواسع المغفرة اغفرلى .

وفى حديث أبى هريرة « ويغفر فيه إلا لمن أبى . قالوا ومن يأبى ؟ قال يأبى أن يستغفر الله» . ومنها استغفار الملائكة للصائمين حتى يفطروا فلما كثرت أسباب المغفرة فى رمضان كان الذى نفرته المغفرة فيه محروما غاية الحرمان .

وعن أبى هريرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال « آمين آمين آمين · فقيل يارسول الله إنك صعدت المنبر فقلت آمين آمين آمين. فقال إن جبريل أتانى فقال : من أدرك رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله فقل آمين فقلت آمين. ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فدخل النار فقل آمين فقلت آمين . ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين» (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) .

فيها أيها العاصى وكانا كذلك ، لاتقنطن من رحمة الله لسوء أفعالك ، فكم من معتق من النار فى هذه الأيام من أمثالك ، فأحسن الظن بمولاك وتب إليه فإنه لايهلك على الله إلا هالك ، إذا جمعت فيك الذنوب

تداوها يرفع يد فى الليل والليل مظلم . ولا تقنطن من رحمة الله إنما قنوطك منها من ذنوبك أعظم ، فرحمته للمحسنين كرامة ، ورحمته للمذنبين تكرم .

واعلموا رحمكم الله أن المعاصى سبب الطرد والهجر ، وإنها حجاب غليظ عن الله ، وتحول بين العبد والمغفرة فعلى وجه الطائع نور طاعته ، وعلى وجه العاصى ظلام مخالفته . وعند الموت يتلقى هذا بالبشارة ، ويقع ذاك فى الخسارة .

عباد الله ، أدوا زكاة الفطر إلى مستحقيها واجتنبوا الردىء مما تخرجون قال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) فينبغى للانسان ألا يخرج إلا طيبا فإنه يجده عند الله مدخرا ، فإن الله وإن أمركم بالصدقة فهو غنى عنها وما ذاك إلا أن يساوى الفقير الغنى وجميع الخلق فقراء إلى الله وهو واسع الفضل، لا ينفد ما لديه جواد كريم من يقرض غير عدوم ولا ظلوم . وإياكم ونقص المكيال والميزان فما بخسهما قوم إلا ابتلوا بالأسقاط ونزع البركات، واحذروا الغش فى المعاملات قال صلى الله عليه وسلم « من غش أمتى فليس منا » .

لله در أقوام دعوا فأجابوا ، وقصدوا باب مولاهم فما ردوا ولا خابوا،

فى صحيح مسلم عن صهيب رضى الله عنه قال « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، نادى مناديا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه. فيقولون ماهو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويجرنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل ، فما من شىء أعطوه أحب إليهم من النظر إليه وهى الزيادة ».

عن الحسن رحمه الله قال : بينما عائشة رضى الله عنها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت فقال :« ما يبكيك ؟ قالت يارسول الله هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً : عند الميزان حين يوضع حتى يعلم أتثقل موازينه أم تخف ، وعند الكتاب حين يقال : هاؤم اقرؤوا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أو فى شماله أو وراء ظهره ، وعند الصراط حين يوضع بين ظهرانى جهنم حتى يعلم أَينجو أم لا ينجو ».

اللهم أنت أعلم بالحال قبل الشكوى ، وأنت قادر على تحقيق الآمال وكشف البلوى .

اللهم أَنت ملاذنا إذا ضاقت الحيل ، وملجأنا إذا انقطع الأمل ، بذكرك يامولى الورى ننعم ، وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا ،

شهدنا يقينا إن علمك واسع ، فأنت ترى مافى القلوب وتعلم .

إلهى تحملنا ذنوبا عظيمة . أسأنا وقصرنا وجودك أعظم . إلهى فجد واصفح وأصلح قلوبنا فأنت الذى تولى الجميل وتكرم ، ألست الذى قربت قوما فوافقوا ، ووفقتهم حتى أتابوا وأسلموا ، لهم فى الدجى أنس بذكرك دائما ، فهم فى الليالي ساجدون وقوم لك الحمد عاملنا بما أنت أهله ، وسامح وسلمنا فأنت المسلم .

اللهم سلمنا من النار ، وأدخلنا الجنة دار القرار ، واحفظنا عن المعاصى ياحليم ياغفار ، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك ياأرحم الراحمين .

الفصل التاسع

فى الترغيب فى إتمام العمل وإكماله

الحمد لله الذى أسكر قلوب أوليائه بسلاف محبته فهاموا . وقيد جوارح جوارحهم عن صيد الشهوات فاستقاموا . وكحل أعينهم بمرود إيراد الأوراد فما ناموا ، وقوامهم للذة مناجاته فداموا . وأجرى عيون دمعهم ففى نحيبهم عاموا . أحمده والإنس والجان والأملاك ببعض محامده ما قاموا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنقذ قائلها من خزنة الجحيم إذا هم لأخذه قد راموا . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله الذى لم تأخذه فى الله لومة اللائمين حين لاموا . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا فى الله حق جهاده وتصدقوا وصلوا وصاموا . لاسيما أبو بكر صاحبه ظاعنا ومقيما . وعمر الذى قوم السياسة بعدله تقويما . وعثمان الذى أمسى لغرام البلاء غريما . وعلى بحر العلوم وأكرم به حميما . وسلم تسليما .

عباد الله إن شهر رمضان قد قرب رحيله : وأزف تحويله . فمن كان منكم أحسن فعليه بالتمام ومن فرط فيه فليختمه بالحسنى فالعمل بالختام . شهر رمضان أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار .

ولهذا أورد فى الصحيح أن تفتح فيه أبواب الرحمة . وفى الترمذى أن لله عتقاء من النار وذلك كل ليلة . كان أبو قلابة يعتق فى آخر الشهر جارية حسناء يرجو بعتقها العتق من النار ، وفى حديث سليمان «فاستكثروا فيه من خصلتين ترضون بها ربكم وخصلتين لاغناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار . وأما التى لاغناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار» .

فأما كلمة التوحيد ، فإنها تهدم الذنوب وتمحوها محوا ولا تبقى ذنبا ولا يسبقها عمل . ومن أتى بها أربع مرات حين يصبح وحين يمسى أعتقه الله من النار .

وأما كلمة الاستغفار ، فمن أعظم أسباب المغفرة ودعاء الصائم مستجاب فى صيامه وعند فطره . قال الحسن : أكثروا من الاستغفار فإنكم لاتدرون متى تنزل الرحمة . وقال لقمان لابنه : يابن عوّد لسانك الاستغفار ، فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلا . وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار فى قوله (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) .

وفى بعض الآثار أن إبليس قال أهلكت الناس بالذنوب ، وأهلكونى بلا إله إلا الله . والاستغفار كتب عمر بن عبد العزيز

رحمه الله إلى الأمصار يأمرهم : بختم رمضان بالاستغفار، وصدقة الفطر، فإن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث

والاستغفار، يرفع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث ولهذا قال بعض العلماء : إن صدقة الفطر للصيام كسجد تى السهو للصلاة .

والاستغفار، ختام الأعمال الصالحة كلها وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : قولوا كما قال أبوكم آدم (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وكما قال إبراهيم (والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) وكما قال موسى (رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى) وقولوا كما قال ذو النون (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) .

وأما سؤال الجنة والاستعاذة من النار، فمن أهم الدعاء . وقد قال صلى الله عليه وسلم « حولها ندندن » فمثل نفسك أيها المسكين وقد قمت من قبرك عطشانا جائعا عريانا ، خائفاً تساق إلى المحشر ، وقد تعلقت بك غرمائك فى دار الدنيا ، ومن كنت ظلمتهم فهذا يأخذ بيدك وهذا يتعلق بناصيتك ، وهذا يقول ظلمتنى ، وهذا يقول شتمتني ، وهذا يقول اغتبتى ، وهذا يقول استهزأت بى ، وهذا يقول جاورتنى ، فأسأت جوارى . وهذا يقول عاملتنى فغششتنى ، وهذا

يقول رأيتنى محتاجا وكنت غنياً فما أطعمتنى، وهذا يقول رأيتنى مظلوماً وكنت قادراً على رد الظالم فأعنت الظالم علىَّ وما راعيتنى ، فبينما أنت كذلك وقد تعلقت الخصماء بك وأنت مبهوت متحير من كثرتهم ، إذ قرع سمعك نداء الجبار عز وجل (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم) فعند ذلك ينخلع قلبك من الخوف والهيبة وتوقن نفسك بالهلاك وتذكر فى ذلك الوقت ما أنذرك الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال (ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحداً) فعند ذلك تؤخذ حسناتك التى أتعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضاً لهم من حقوقهم .

قال صلى الله عليه وسلم « هل تدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع . قال : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأخذ مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح فى النار » .

فإياكم عباد الله وجميع المحرمات ، ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكرات ، قال صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف ولتنهون

عن المنكر وليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » .

عباد الله ، إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل . ولم يبق منه سوى نزر قليل ، وهو ذاهب عنكم بأفعالكم وشاهد عليكم غداً بأعمالكم ، ما كان أعظم ساعاته وما كان أحلى جميع طاعاته كانت لياليه ليالى عتق ومباهاة ، وأسماره أوقات خدمة ومناجاة .

أيها الغافل ذهب عنك شهر رمضان وودعك . وسارت فيه قوافل الصالحين وجهلك قد منعك . سلام من الرحمن كل أوان ، على خير شهر قد مضى وزمان ، سلام على شهر الصيام ، فإنه أمان من الرحمن أى أمان ، لأن فنيت أيامك الغر بغتة ، فما الحزن من قلبي عليك يفان ، فاذر الدموع وبك من أسف ، على فراق ليالى ذات أنوار على ليالى اشهر الصوم ما جمعت . إلا لتمحيص آثام وأوزار ، يالائمى بالبكا زدنى به كلفاً ، واسمع غريب أحاديثى وأخبارى ، ما كان أحسننا والشمل مجتمع ، منا المصلى ومنا القانت القار ، وفى التراويح للراحات جامعة ، فيها المصابيح تزهو مثل أزهار ، شهر به ليلة القدر التى شرفت ، حقا على كل شهر ذات أسرار ، تنزل الروح والأملاك

قاطبة ، بإذن رب غفور خالق بار ، شهر به يعتق الله العصاة وقد أشفوا على جرف من حصة النار ، فأبكوا ما مضى فى الشهر واغتنموا ما قد بقى فهو حق عنكم جار .

اللهم اجعل فى قلوبنا نورا نهتدى به إليك ، ووفقنا للأعمال الصالحة المقربة لديك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

الفصل العاشر

فى وداع رمضان المعظم

الحمد لله موفر الثواب للأحباب ومكمل الأجر . وباعث ظلام الليل بنسخه نور الفجر . المحيط علماً بخائنة الأعين وخافية الصدر . الموالى رزقه فلم ينس النمل فى الرمل ، والطير فى الوكر . جلّ أن تناله يد الحوادث على مرور الدهر أغنى وأفقر وأجاع وأشبع ، وأحكم وأسمع فبإرادته وقوع الغنى والفقر . وبمشيئته إدراك السمع ومنع الوقر . أبصر فلم يخف عليه دبيب الذر فى البر . هو سمع فلم يعزب عن سمعه دعاء المضطر . وقدر فلم يحتج للاعانة والنصر . وخصنا من بين سائر الأمم بشهر الصيام والصبر . وغسل به ذنوب الصائمين كغسل الثوب بماء المطر ، فله الحمد إذا رزقنا إتمامه ومنّ علينا بعد الفطر .

أحمده حمداً لا منتهى لمدده وأشكره شكراً لا يحصى موصول مدده ، وأتوكل عليه توكل عبد على سيده . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص فى معتقده ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله « الذى نبع الماء من بين أصابع يده » صلى الله عليه

وعلى آله وأصحابه وأزواجه وتابعي مقصده لا سيما على أبي بكر الصديق التارك لحبه طيب وطنه، وعزيز ولده. وعلى عمر بن الخطاب ناصر الإسلام ومقوم أوده، وعلى عثمان الصابر من مرّ البلاء على أشده، وعلى ابن عمه على بن أبي طالب الفائق على الأصحاب بشجاعته وحلمه ورشده. وعلى بقية الصحابة والقرابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

فياعباد الله تدبروا القرآن المجيد، فقد دلكم على الأمر الرشيد، وأحضروا قلوبكم لفهم الوعد والوعيد، ولازموا لطاعة ربكم لا سيما أيام العيد، فهذا شأن العبيد، واحذروا بطشه فكم قصم من جبار عنيد (إن بطش ربك لشديد. إنه هو يبدى ويعيد. وهو الغفور الودود. ذو العرش المجيد. فعال لما يريد) أين من بنى وشاد وطول، وتأمر على الناس وساد فى الأول، وظن جهلا منه أنه لا يتحول، هيهات عاد الزمان عليهم سالبا ما خول، فسقوا كأسا من الموت على حلا كيهم عول أفعيينا بالخلق الأول: بل هم فى لبس من خلق جديد. فيمن أنذره يومه وأمسه وحادثه بالعبر قمره وشمسه واستلب منه ولده وأخوه وعرسه، وهو يسعى إلى الخطأ مشهرا وقد دنا حبسه (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد).

أما علمت أنك مسؤل الزمان، مشهود عليك يوم تنطق الأركان، معلوم ما قدمت فى زمن الإمكان، محاسب على خطوات القدم وكلمات اللسان (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) .

ويامن يرى العبر بعينيه ، ويسمع المواعظ بأذنيه ، والنذير قد وصل إليه ، وكلماته تلقى عليه ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، كأنك بالموت اختطفك اختطاف البرق ، ولم تقدر على دفعه بملك الغرب والشرق ، وندمت على تفريطك بعد اتساع الخرق، وتأسفت على ترك الأولى والأخرى أحق ، وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد : ثم ترحلت من القصور إلى القبور ، على رحائل العيدان والظهور ، وبقيت وحيدا على مر الدهور ، كالأسير المأسور ، ونفخ فى الصور ، ذلك يوم الوعيد ، فحينئذ أعاد الأجسام من صنمها ، وضم شتاتها بقدرته وجمعها . ونادى بنفخه الصور فأسمعها ، وجاءت كل نفس معها سابق وشهيد ، فيهرب منك الأخ وتنسى أخاك ، ويعرض عنك الصديق ويرفض ولاك ، ويتجافاك الحبيب المعاشر صباحك ومساك . وتلقى من الهول كلما أزعجك ومساك فتنسى أولادك وتنسى نساك لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد. وتجرى دموع الأسف وابلا ورذاذا . وتتقطع الأكباد من الحسرات أفلاذا . ويهب لهيب النار على الكفار فيجعلهم جذاذا.

ولا يجد العاصى ملجأ وملاذا . وقال قرين هذا ما لدى عتيد . فيجازى العبد بفعله ولا تظلم ، ويتحسر العاصى على ما جنى ويتندم ، وتسيل الدموع على الأجفان كأنها جرت عن دم أو عندم ، ويأمر المولى بأخذ العصاة ويتقدم ، ألقيا فى جهنم ، كل كفار عنيد ، فتتقدم الزبانية إلى الكفار وتبادر ، وتثب النار وثوب الليث إذا غضب وشاجر ، فيذل عند زفيرها كل من عز وفاخر ، الذى جعل مع الله إلها آخر ، فألقياه فى العذاب الشديد ، وينصب الصراط فى أصعب الأماكن وتنزعج لوضع الميزان القلوب السواكن ، ويقع الخصام بين البائع والمبتاع فى أعجب المساكن . قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ظلال بعيد . فيقول الرب تبارك وتعالى قد أزلت المطل واللي . وفصل هذا الأمر كله إلىّ وإنصاف المظلوم من الظالم علىّ . قال لا تختصموا لدى . وقد قدمت إليكم بالوعيد . أما أنذرتكم فيما مضى من الأيام . أما حذرتكم عواقب المعاصى والآثام . أما أمرتكم بتجنب إجرام الأجرام أما وعدتكم بهذا اليوم فى سالف الأيام . ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد .

فيا لهذا اليوم المهول . الذى يحار فيه العاقل والجهول . وتشخص الأبصار وتذهل العقول يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد . فذلك يوم تبور المنافقين . وسلامة الصادقين . وفوز

السابقين . والنار قد أطبقت على الفاسقين . وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد . فياعثرة العاصين لقد صعب تلافيها . ويا خيرة المخلصين لقد تكامل مافيها . إذا دخلوا جنة أشرق ظاهرها واستنار خافيها . لهم ما يشاءون فيها . ولدينا مزيد .

فانظروا عباد الله فرق ما بين الفريقين بحضور قلب . واستلبوا زمان الصحة بفعل الخيرات أيما سلب . فاللذات تفنى ويبقى العار والثلب . إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

روى عن على رضى الله عنه « أنه ينادى فى ضوء ليلة من شهر رمضان : ياليت شعرى من هذا المقبول فنهنيه . ومن هذا المحروم فنعزيه » . أيها المقبول هنيئاً لك أيها المردود جبر الله مصيبتك ، هيهات خلت الديار وفرغت من الصالحين . وماترى إلا أهل البطالة الغافلين ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقي حثالة كحثالة التمر والشعير لا يباليهم الله باله » .

واعلموا رحمكم الله أنه يستحب صيام ستة أيام من شوال ، لتدركوا صيام السنة على الكمال ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر » وذلك

لأن الحسنة بعشر أمثالها فصيام رمضان بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بشهرين، فصوموها عباد الله ولا تهملوها. عباد الله كم من صائم لا يصوم غيره أبدا، وكم من قائم لا يقوم بعده أبداً، شهر جعله الله لذنوبكم تطهيرا. ولسيئاتكم تكفيرا ولمن أحسن منكم صحبته ذخيرة ونورا، ولمن وفى بشرطه وقام بحقه فرحا وسرورا، فرحم الله امرىء أظهر لفراقه جزعه، وسلم على شهره وودعه، وقال: السلام عليك ياشهر الصيام، السلام عليك ياشهر القيام، السلام عليك ياشهر الإيمان، السلام عليك ياشهر القرآن، السلام عليك ياشهر الدرجات السلام عليك ياشهر النجاة من البركات، السلام عليك ياشهر الأنوار، السلام عليك ياشهر العفو والغفران، السلام عليك ياشهر القابعين القانتين، السلام عليك ياشهر العارفين العابدين، السلام عليك ياشهر المتهجدين، السلام عليك ياشهر الأمان، السلام عليك ياشهر التراويح والمصابيح والعيون الساهرة والدموع الهاطلة والمحاريب المتعطرة. والعبرات المنسكبة، والقلوب المنفطرة والأنفاس الصاعدة، من القلوب المحترقة، كنت للعاصين حبسا، وللمتقين أنسا.

فاحمدوا الله أيها المؤمنون على بلوغ اختتامه وسلوه قبول صيامه وقيامه. فيا عباد الله من كان منع نفسه فى شهر رمضان من الحرام فليمنعها فيما بعده من الشهور والأعوام، فإن إله الشهرين واحد، وهو على

الزمانين مطلع شاهد ، جزانا الله وإياكم خيرا على فراق شهر البركة ، وأجزل أقسامنا وأقسامكم من رحمته المشتركة . وبارك لنا ولكم فى بقيته ، وسلك بنا وبكم سبيل هدايته برحمته وفضله ومنته .

اللهم اجعلنا ممن قبلت صيامه مع صلاته ، وبدلت سيئاته بحسناته

اللهم اجعل شهرنا شاهداً لنا بأداء فرضك ، ولا تجعلنا ممن تعب واجتهد ولم يرضك ، ولا تخزنا بقبائح أعمالنا يوم عرضك .

اللهم ألهمنا الشكر على صيام الأيام الماضية ، وأعد شهر رمضان علينا أعواما متوالية ، وارزقنا الزهادة فى الدار الفانية ، وارفع منازلنا فى جنة عالية ، قطوفها دانية واجعلنا ممن ينادى غدا فى الدار الباقية (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين آمين .

حرر فى ١٥ رمضان سنة ١٣٦٩ بقلم الفقير إلى الله العلى القدير إبراهيم بن عبد العزيز الغريز غفر الله له ولوالديه وإخوانه المسلمين

تم بحمد الله وحسن توفيقه طبع رسالة « وظائف شهر رمضان المبارك » فى يوم الأربعاء ٢١ رمضان سنة ١٣٩٦ هـ

وذلك بمطبعة المدنى المؤسسة السعودية بمصر

والحمد لله أولا وآخراً ؟